آداب طلب العلم

جمعه الفقيرُ إلى عفوِ ربِّه

الشَّيخُ الدُّكتور

سمير بن أحمد عبد الخالق الصباغ

أبو عبد الرحمن

رحِمه اللهُ في الدَّارينِ ولطَفَ به بمنِّه وكرَمه

مؤسسة القلم

لتحقيق التراث والبحث العلمي

حقوق الطبع مبذولة لعموم المسلمين

١٤٤٥هـ

شبكة الألوكة

www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

آداب طلب العلم

جمَعَه الفقيرُ إلى عفوِ ربِّه

الشَّيخُ الدُّكتُور

سمير بن أحمد عبد الخالق الصباغ

أبو عبد الرحمن

رحِمَه اللهُ في الدَّارَينِ ولطَفَ به بمَنِّهِ وكَرَمِه

مؤسسة القلم لتحقيق التراث والبحث العلمي

حقوق الطبع مبذولة لعموم المسلمين

١٤٤٥هـ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

مقدمة

إنَّ الحمدَ لله، نحمَدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفُسِنا، وسيِّئاتِ أعمالِنا، مَن يهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهَدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾

[الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعدُ:

فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ الله تعالى، وخيرَ الهديِ هديُ نبيِّنا محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور مُحدَثاتُها، وكلَّ مُحدَثةٍ بِدْعة، وكلَّ بِدْعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النار!

هذا بحثٌ مختصرٌ فيما ينبغي أن يتصِفَ، ويتحلَّى، ويتجمَّلَ به طالبُ العلمِ الذي يرغب أن يكونَ ممن شرَّفَهم اللهُ بحملِ وحيِ اللهِ من الكتابِ والسُّنةِ؛ ليكون من خيرةِ خلقِ الله تعالى وخاصتِه، فقد قال النبيُّ ﷺ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»، وقال ﷺ: «**إِنَّ للهِ عَزَّ وَجَلَّ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ**». قَالَ: قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ**».

فأهلُ القرآنِ والسُّنةِ هم أهلُ اللهِ وخاصَّتُه، وخيرتُه من خلقِه، وهم أولياؤه الصالحون، وعبادُه المتقون، إن عمِلوا واستقاموا على نهج الله ورسوله ﷺ.

ويجِبُ على طالبِ علمِ القرآنِ والسُّنةِ أن يتأدبَ بالأدبِ الذي يؤهِّلُه لحملِ هذا الخيرِ العظيم، والكوثر الكبير؛ ليكون وعاءً نظيفًا

طاهرًا، وأهلًا لحملِ هذا النورِ الذي يُحيي اللهُ به القلوبَ، ويطيِّبُ ويزكِّي به النفوسَ، فكم من قليلِ أدبٍ، خبيثِ طويَّةٍ حمَلَ هذا العلمَ فكان وبالًا على الأمَّة!

ولذلك قبلَ أن يُحمِّلَ اللهُ جل وعلا هذا العلمَ للنبيِّ محمد ﷺ أدَّبَه أحسنَ تأديبٍ، وربَّاه أحسنَ تربيةٍ، فزكَّى فؤادَه بالخُلُقِ العظيم، حتى وصفه اللهُ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم:٤].

ثم بعد ذلك أوحى إليه، وعلَّمه ما لم يكنْ يعلَمُ، وكان فضلُ اللهِ عليه عظيمًا.

وهكذا حرَصَ النبيُّ ﷺ على هذا النهجِ، وهو أن يربيَ أتباعَه على معتقَدٍ سليمٍ وخلُقٍ قويمٍ قبلَ أن يعلِّمَهم العلمَ، فقال لهم: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ».

فتخلَّقوا بأخلاقِ النبوةِ من إخلاصٍ، وصدقٍ، وأمانةٍ، وكرمٍ، ورجولةٍ، وشجاعةٍ، وإيثارٍ، وخشيةٍ، ومراقبةٍ بالغيبِ والشهادةِ، وتواضعٍ، ورفقٍ، وحبٍّ، ومروءةٍ، ووفاء، وبرٍّ وصلةٍ، ونُبْلٍ، وغير ذلك.

فعن جُندُبِ بنِ عبدِ الله ﵁، قال: كنا غِلمانًا حَزَاوِرةً مع رسولِ الله ﷺ، فتعلَّمْنا الإيمانَ قبلَ القرآنِ، ثم تعلَّمْنا القرآنَ، فازدَدْنا به إيمانًا.

والغلامُ الحَزْوَرُ: هو الذي اشتدَّ وقوِيَ، وقارَبَ البلوغَ.

ومعنى: «تعلَّمنا الإيمانَ قبلَ القرآنِ»؛ أي: ترَبَّيْنا على أصولِ الإيمانِ والتوحيدِ، وعلى شُعَبِ الإيمانِ وأخلاقِه الحميدةِ، فتأدَّبْنا بأدبِ الدينِ، وأخلاقِه العظيمةِ.

فتربَّوا أوَّلًا بتربية النبيِّ ﷺ، وتأدَّبوا بأدبِه، ثم بعد ذلك تعلموا القرآنَ والسُّنةَ، فازدادوا بهذا العلمِ إيمانًا وخشيةً، ومراقبةً، وتوكُّلًا، وحياءً، وكرمًا، وإيثارًا، وإخلاصًا، وتواضعًا، وحبًّا للمؤمنين، وبغضًا للكافرين، فلم يعرفوا الرياءَ ولا السمعةَ، ولا الخيانةَ، ولا الغش، ولا الكذب، ولا الكبر، ولا الحسدَ.

ولذا قال عبدُ الله بنُ عمَرَ: لقد عِشنا بُرهةً من دهرنا وإنَّ أحدَثَنا يُؤتَى الإيمانَ قبلَ القرآنِ، وتنزِلُ السورةُ على محمدٍ ﷺ، فيتعلَّمُ حلالَها وحرامَها، وما ينبغي أن يُوقفَ عندَه فيها؛ كما تعلَّمون أنتم

القرآن، ثم قال: لقد رأيتُ رجالًا يُؤتَى أحدُهم القرآنَ، فيقرأُ ما بين فاتحتِه إلى خاتمتِه، ما يدري ما أمْرُهُ، ولا زاجِرُه، ولا ما ينبغي أن يوقَفَ عنده منه، يَنْثُرُهُ نَثْرَ الدَّقَلِ.

وهكذا حرَصَ الصحابةُ على حسنِ تربيةِ أولادِهم وطلَّابِهم وتأديبِهم أوَّلًا قبل أن يلقِّنوهم ويحفظوهم العلمَ، وعلى هذا النهجِ سار السلفُ الصالحون؛ وذلك لأنَّ طلابَ علمِ اليومَ هم علماءُ الغدِ، والعلماءَ هم أئمةُ الأنامِ، وحَفَظةُ الاسلامِ، يدعون من ضلَّ إلى الهدى، ويُبَصِّرون بعلمِهم أهلَ الجهلِ والعمى، فهم الشموسُ والأقمارُ والنجومُ التي تنير الأرضَ في ظلمتها، وحاجةُ الناسِ إليهم أشدُّ من حاجتِهم للطعامِ والشراب؛ بل وتنفُّسِ الهواءِ.

وقد أوجب اللهُ احترامَهم وتوقيرَهم وطاعتَهم في طاعتِه، وبيَّن عظيمَ فضلِهم عنده وعند خلقِه، فقال تعالى: {أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ...﴿٥٩﴾} [النساء:٥٩].

وأولوا الأمر: هم العلماءُ والأمراءُ.

وقال اللهُ تعالى: {قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٩} [الزمر:٩].

وقال النبيُّ ﷺ: «**إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ**»، وقال ﷺ: «**فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ**».

وقال ﷺ: «**فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ**».

ولمَّا كان العلماءُ هم محلَّ اقتداءِ الناس كان لِزامًا أن يُعَلَّمَ طالبُ العلمِ المبتدئُ من التوحيدِ، والخُلُقِ الحسنِ ما يهيِّئه لهذه المهمةِ التي هي وظيفةُ الأنبياءِ؛ وهي حملُ العلمِ عن اللهِ تعالى ورُسُلِه، والعملُ به، والدعوةُ إليه.

ولذا كان يُسمى من يُحفِّظُ القرآنَ للصبيان بـ«المؤدِّب»؛ أي: الذي يؤدِّبُ الأولادَ ويربيهم على العقيدةِ الصحيحةِ، والأخلاقِ الفاضلةِ أوَّلًا قبل أن يحفِّظَهم.

ولذلك يجبُ على جميع المعلِّمين في جميعِ الهيئات التعليمية، من حضاناتٍ، ومدارسَ، وكتاتيبَ، ومعاهدَ، وجامعاتٍ: أن يبدؤا بتعليمِ الأدبِ وتلقينِ محاسنِ الأخلاقِ مع التوحيدِ قبلَ أيِّ شيءٍ؛

حتى يُعِدُّوا قلبًا سليمًا خاليًا من أمراضِه، صالحًا لتلقي وقبولِ العلمِ النافعِ، والانقيادِ له، والدعوةِ إليه.

وهذا البحثُ أعددتُّه لجميع الدارسين، في جميع المستويات، من الطفولةِ إلى الشيخوخة، بأيسرِ عبارةٍ؛ للإشارةِ إلى ما يجِبُ أن يتحلَّى به المسلمون عمومًا وطلابُ العلمِ خصوصًا.

فإن العلمَ والعلماءَ صِمامُ أمانِ هذه الأمةِ، وهم عصمةُ الأمةِ من الضلالِ والانحرافِ عن منهج الله، إن صلَحوا صلَحت الأمةُ، وإن فسَدوا فسَدت الأمةُ، روى الإمامُ البخاريُّ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ؛ وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ؛ حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرُكْ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**».

دلَّ الحديثُ على أن وجودَ العلماءِ الرَّبَّانيِّين يمنعَ الرؤوسَ الجُهَّالَ من التعالمِ في الدينِ، ويمنَعُ الناسَ من اتخاذِ الجُهَّالِ بديلًا، كما دلَّ على أن عدمَ وجودِ العلماءِ الرَّبَّانيين بقبضهم وموتهم

يترتَّبُ عليه اتخاذُ الرؤوس الجهالِ الضالين المضلين، فتفسُدُ الدنيا والدينُ، ويضيعُ الأدبُ والعلمُ فى المسلمين.

وقد قسَّمتُ هذا المختصرَ إلى خمسةِ فصولٍ على النحو الآتي:

الفصل الأول: آدابُ طالبِ العلمِ فى نفسه.

الفصل الثانى: آدابُ الطالبِ مع شيخِه ومعلِّمِه.

الفصل الثالث: آدابُ الطالبِ مع أقرانِه وزملائِه.

الفصل الرابع: آدابُ الطالبِ مع عامَّةِ الناس.

الفصل الخامس: آفاتُ طلبِ العلمِ ومحاذيرُه.

الفصل الأول: آدابُ طالبِ العلمِ في نفسِه

طلبُ العلمِ هو أجلُّ العباداتِ على الإطلاقِ؛ لأن الإنسانَ لا يجوزُ له أن يتكلَّمَ في أمرٍ من أمورِ الدينِ، ولا أن يفعَلَ شيئًا يتقرَّبُ به إلى اللهِ تعالى إلا بالعلم، فالعلمُ قبل القولِ والعملِ، فالمسلمُ لا يستطيعُ الوضوءَ إلا بالعلمِ، ولا الصلاةَ إلا بالعلمِ، ولا الحجَّ إلا بالعلم، وهكذا في جميع الأمورِ التعبُّديةِ، وفي كلِّ ما يمسُّ الأحكامَ الشرعيةَ من عقائدَ وعباداتٍ، وأخلاقٍ، ومعاملاتٍ، ففاقدُ الشيءِ لا يعطيه، ولذلك قال الله تعالى للنبي ﷺ: {فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ...} [محمد:١٩]، وقال: {وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴿١١٤﴾} [طه:١١٤]؛ حتى قال بعضُ أهلِ العلم: العلمُ هو صلاةُ السِّرِّ، وعبادةُ القلبِ[1].

ومما يجبُ على طالبِ العلمِ أن يتحلَّى به في نفسِه وفيما بينه وبين ربِّه **ما يأتي**:

---

(١) حلية طالب العلم، بكر أبو زيد (ص٧).

أولًا: إخلاصُ النية لله في طلب العلم:

فطلبُ العلمِ من العبادات؛ بل هو أجلُّها على الإطلاقِ ويشترَطُ في صحَّةِ العبادةِ وقبولِها عند اللهِ أن تكونَ مستنِدةً لنصٍّ شرعيٍّ من كتابٍ أو سُنَّةٍ، وأن تكونَ خالصةً لوجه الله تعالى، فإذا نقص شيءٌ من ذلك بطل العملُ وحبِطَ؛ لقولِ النبيِّ ﷺ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»(١).

وقد أمرنا اللهُ بالإخلاصِ في جميع العباداتِ القلبيَّةِ، والقوليَّةِ، والعمليَّةِ، فقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة:٥]، وقال: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

وقد قال النبيُّ ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ، وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ، وَرَسُولِهِ، وَمَنْ**

---

(١) أخرجه مسلم (١٧١٨).

كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»[(١)].

وهناك مَن يطلُبُ العلمَ لدنيا يصيبُها؛ لينال حظًّا دنيويًّا من رياءٍ وسُمعةٍ وشهرةٍ، وتفوُّقٍ على الأقرانِ، وحبِّ ظهورٍ، وطلبِ مالٍ أو جاهٍ، أو مَحمَدةٍ وتعظيمٍ، أو رياسةٍ، أو صرفٍ لوجوه الناس إليه، ونحوِ ذلك من النيّاتِ الفاسدةِ التي تُحبِطُ الأجرَ في طلب العلمِ، ومن فعل ذلك وكانت نيَّته لغرضٍ من أغراض الدنيا فهو على خطرٍ عظيم، فقد قال النبيُّ ﷺ: «**مَنْ طَلَبَ العِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ العُلَمَاءَ أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ؛ أَدْخَلَهُ اللهُ النَّارَ**»[(٢)].

(١) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٥٤)، وحسنه الألباني.

وقال ﷺ: «مَنْ تَعلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ»(١)؛ أي: لم يشَمَّ رائحةَ الجنَّةِ.

وقد بيَّنَ النبيُّ ﷺ أن من طلَبَ العلمَ، وحفظ القرآنَ والسُّنةَ ليقالَ عنه أنه عالمٌ، أو أنه قارئٌ ونحو ذلك من حظوظ الدنيا؛ فهو من أولِ من يُقضى عليه، وتُسعَّرُ به النارُ يومَ القيامةِ، فقد قال النبيُّ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَنْ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ ثَلاثَةٌ...»، وفي روايةِ الإمامِ مسلمٍ: «أَوَّلُ النَّاسِ يُقْضَى لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ...»، وفيه: «وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ القُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ العِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ القُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ العِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ القُرْآنَ لِيُقَالَ: قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ، فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ...»(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٦٤).

(٢) أخرجه مسلم (١٩٠٥).

ومن هذا الحديث يتبيَّنُ أن طالبَ العلمِ إذا فقد الإخلاصَ؛ سينتقِلُ من أفضلِ الطاعاتِ إلى أحطِّ المخالفات، وطالبُ العلمِ إذا لم يُخلِصِ النيَّةَ للهِ سيتحولُ من خِيرةِ الناسِ إلى أحطِّ الناس، ويكونُ في القيامة حطَبَ جهنَّمَ، مُهانًا، ذليلًا، حقيرًا، بشؤم نيَّتِه الخبيثةِ.

فطالبُ العلمِ المخلصُ لربِّه هو الذي يطلُبُ العلمَ ليعرِفَ به ربَّه، ويعرِفَ به شرعَه؛ ليعمَل به مخلِصًا تقيًّا راجيًا رحمتَه، خائفًا من عذابِه، معلِّمًا به غيرَه، صابرًا محتسِبًا ذلك كلَّه لله سبحانه.

فقد قال اللهُ تعالى: {وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣} [العصر].

فجنسُ الإنسان في خسارٍ إلا مَن أصلَحَ نفسَه بالإيمانِ باللهِ، ورسلِه، وكُتُبِه، وملائكتِه، واليومِ الآخِرِ، والقدرِ؛ خَيرِه وشرِّه، والعملِ الصالحِ المأخوذِ من الكتاب والسُّنة، ومن أصلَحَ غيرَه

بالأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ، والدعوةِ إلى اللهِ تعالى، صابرًا في كلِّ ذلك، مخلصًا محتسبًا وجهَ الله.

ثانيًا: التقوى:

وهي فعلُ ما تيسَّر من المأمورِ، واجتنابُ جميعِ المحظور، فيجِبُ على طالبِ العلم أن يتحلَّى ويتجمَّل بلباسِ التقوى، ولا يكونُ المسلمُ تقيًّا إلا إذا كان حريصًا على الانقيادِ لأوامرِ الله، والابتعاد عما حرَّم اللهُ.

والتقوى طهارةُ الظاهرِ والباطنِ، بطهارةِ القلبِ، واللسان، والجوارح من الذنوب والمعاصي التي تدنِّسُ القلبَ والجوارحَ؛ لأن العلمَ رزقٌ ونورٌ يقذِفُه اللهُ في القلوبِ الطاهرةِ، والجوارح النقيةِ المعمورةِ بالتقوى، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ...﴿٢٨٢﴾﴾ [البقرة:٢٨٢].

فعلى قدرِ تقوى العبدِ لربه، وطهارةِ باطنِه وظاهرِه؛ على قدرِ ما يعلِّمُه اللهُ ويفهِّمُه ويفقِّهه، وينفَعُ به، ويرزُقُه البصيرةَ في الدين، قال الإمامُ مالكٌ لتلميذِه الشافعيِّ حينما رأى منه نجابةً وخشيةً: يا بُنيَّ

إني أرى أن اللهَ تعالى قد قذَفَ في قلبِك نورًا، فلا تطفئْه بظلمةِ المعصيةِ.

وقال الشافعيُّ رحمه الله:

شَكَوْتُ إِلَى وَكِيعٍ سُوءَ حِفْظِي * فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ المَعَاصِي
وَأَخْبَرَنِي بِأَنَّ العِلْمَ نُورٌ * وَنُورُ اللهِ لَا يُهْدَى لِعَاصِي

فعلى طالبِ العلمِ أن يطهِّرَ قلبَه من الشركِ والبدعةِ والمعصيةِ، ومن الكِبْرِ، والغشِّ، والحسدِ، والعُجبِ، والغرورِ، والرياءِ، والسُّمعةِ، ومخالفةِ الكتاب والسُّنةِ.

فإن فعل ذلك يُرجى له أن اللهَ يعلِّمُه، ويحفظُه، ويهديه، ويثبِّتُه، وينفَعُ به، ويجعَلُه للمتقين إمامًا.

ولن ينالَ العبدُ ولايةَ اللهِ إلا بالإيمانِ والتقوى، قال تعالى: {أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾} [يونس:٦٢-٦٣].

ثالثًا: خشيةُ اللهِ ومراقبتُه بالغَيبِ والشَّهادة.

الخشيةُ من الله تعالى هي الخوفُ من سَخَطِ اللهِ وعقابِه، وإجلالُه، وهيبتُه، وتوقيرُه، وتعظيمُه في قلب المؤمنِ، وذلك يكونُ بمُجانبةِ القلبِ والجوارحِ عن معصيةِ الله، والجدِّ والاجتهادِ في القُربِ من اللهِ بالإيمانِ والعملِ الصالحِ.

وخشيةُ اللهِ تعالى من أجلِّ أعمالِ القلوبِ التي تقوم عليها العباداتُ كلُّها، وهي التي تحمِلُ العبدَ على الإحسانِ؛ فتعبُدُ اللهَ كأنَّك تراه، فإن لم تكُنْ تراه فإنه يراك.

ومن أعظمِ أسباب خشيةِ الله تعالى ومراقبتِه: العلمُ بالله، بأسمائِه وصفاتِه وأفعالِه، وتشريعاتِه، وكلما ازداد العبدُ علمًا ازداد خشيةً، قال تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ...} [فاطر:٢٨]؛ أي: أن العلماءَ هم أشدُّ الناسِ خشيةً لله؛ لأنَّهم أعلمُ الناس بالله.

فالخشيةُ من اللهِ من أعلى مقاماتِ العبوديةِ، وأسمى الصفات، وشعبةٌ من شُعَبِ الإيمانِ، قال تعالى: {فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾} [التوبة:١٣].

وهي خلُقٌ لا يتصِفُ به إلا المتقون الصادقون المخلصون، فأهلُ الخشيةِ والخوفِ من الله هم أهلُ الجنَّة.

قال الله تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ۝١٢} [الملك:١٢]، وقال: {وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦} [الرحمن:٤٦].

فالواجبُ على طالبِ العلمِ أن يتحلَّى بخشيةِ اللهِ، ومراقبتِه فيما بينَه وبين الله، في حال غيبتِه عن الناس، وكذلك بالشهادةِ، وخشيةُ اللهِ دليلُ استقامةِ الظاهرِ والباطن.

فإن ناسًا يأتون يومَ القيامة بأعمالٍ صالحةٍ جليلةٍ كالجبال؛ ولكنه يُذهَبُ بها هباءً منثورًا، فلا تنفَعُهم؛ لأنهم كان يخافون اللهَ فقط بالشهادة أمامَ الناس؛ لكنهم إذا خلوا بحُرُماتِ اللهِ- أي: بعيدًا عن الناس- انتَهَكُوها، فلم يكُنْ عندهم خشيةٌ لله بالغيبِ.

قال النبيُّ ﷺ: «**لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا**». قال ثَوْبانُ: يا رسولَ اللهِ صِفْهُمْ لنا، جَلِّهِمْ لنا ألَّا نكون

منهم، ونحن لا نعلمُ، قال: «أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللهِ انْتَهَكُوهَا»[1].

ولذلك قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾ [التوبة:٧٨]، وقال: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴿٧٧﴾﴾ [البقرة:٧٧]، وقال ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [البقرة:٨٥]، وقال: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾ [الإسراء:١٧]، وقال: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾ [النساء:١٠٨].

ويجبُ على المسلم عمومًا وطالبِ العلم خصوصًا أن يعلَمَ أن اللهَ تعالى اسمُه السميعُ البصيرُ الرقيبُ الخبيرُ، فهو سبحانه يسمَعُ أقوالَنا، ويرى أحوالَنا، ويرقُبُ جميعَ حَرَكاتنا وسَكَناتِنا، وخبيرٌ بظواهرنا وبواطننا وما تخفيه نفوسُنا، لا تخفى عليه منا خافيةٌ، وقد

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٢٤٥).

جعل علينا ملائكةً يرقُبون ويكتبون جميعَ أقوالِنا وأعمالِنا، وقد جعل جوارحَنا شهودًا علينا من أنفسِنا، فقال تعالى: {وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾} [فصلت:٢٢-٢٣]، وقال {يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾} [النور:٢٤-٢٥]، وقال {وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ} [فصلت:٢١].

فإذا لم يكُنْ طالبُ العلمِ هو الذي يخشى اللهَ بالغيبِ والشهادةِ فمن يكون ذلك؟!

فاحرِصْ يا طالبَ العلم على أن تكونَ عبدًا مخلِصًا تقيًّا، تخشى ربَّك وتراقِبُه بالغيبِ والشهادة، فإن فعلتَ فأنت ممَّن يجعَلُهم اللهُ للمتقين إمامًا.

فأكثر الدعاءَ بالخشية من الله تعالى، فقد كان النبيُّ ﷺ عند نهايةِ كلِّ مجلسٍ يقولُ: «**اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ**»(١)، وكان يقولُ: «**وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ**»(٢). فاللهمَّ ارزُقْنا خشيتَك بالغيبِ والشهادةِ.

رابعًا: الصبرُ وعلوُّ الهمةِ:

طلبُ العلمِ يحتاجُ إلى نَفَسٍ طويلٍ؛ لأن العلمَ بحرٌ لا ساحلَ له، ولا ينالُه إلا الصابرون، أصحابُ الهمم العالية.

والصبرُ: هو حبسُ النفسِ على طاعةِ الله تعالى، وعن معصيته، وعن الجزعِ على أقدار الله المؤلِمةِ، فتحقيقُ أيِّ عملٍ في هذه الدنيا لا بدَّ له من الصبرِ، سواءٌ كان عملًا دينيًا أو دنيويًا، وبغيرِ الصبر لن ينالَ الإنسانُ مرادَه.

ولذلك لا يوفَّقُ إلى تمام طلبِ العلم بالحفظِ، والفقه، والعلم، والعمل، والبلاغِ عن الله تعالى إلا الصابرون.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٠٢).

(٢) أخرجه النسائي (١٣٠٥).

والصبرُ يحتاجُ إلى معونةِ الله وحده للمسلم عمومًا، وطالبِ العلم خصوصًا، فلن يكونَ الإنسانُ صابرًا إلا بمعونةِ الله عز وجل له، وقد قال النبيُّ ﷺ: «وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ»(١)؛ أي: من يطلُبِ الصبرَ من اللهِ ويأخُذْ بأسبابِه، فإن اللهَ يوفقُه إليه.

لأن اللهَ ما أعطى عبدَه عطاءً أوسعَ ولا أفضلَ من الصبر، قال النبي ﷺ: «وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً هُوَ خَيْرٌ، وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ»(٢).

ولذلك يجِبُ على طالبِ العلمِ أن يكونَ صابرًا، قويَّ العزيمةِ، عاليَ الهمَّةِ في الطلب والعملِ بما طلب، قال اللهُ تعالى: {يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢} [مريم:١٢]؛ أي: خُذِ التوراةَ بجِدٍّ واجتهادٍ، بحفظ ألفاظِها، وفهمِ معانيها، والعملِ بما فيها، فلما فعل ذلك، آتاه اللهُ الحِكمةَ والفَهْمَ والفقهَ في العلمِ وهو صغيرُ السنِّ.

(١) أخرجه البخاري (٦٤٧٠).
(٢) أخرجه البخاري (٦٤٧٠).

وانظرْ إلى علوِّ همةِ نبيِّ الله موسى حينما سمِعَ بنبيِّ اللهِ الخضِرِ عليهما السلام، وأن عنده من العلم ما ليس عنده، قال: يا ربِّ كيف السبيلُ إليه، فرحَلَ إليه رحلةً شاقةً تحتاج إلى صبرٍ وهمةٍ، وعزيمةٍ قوية لطلبِ العلم مع علوِّ قدرِه ومنصبِه عند الله تعالى.

وطالبُ العلمِ لا بدَّ له أن يتعرَّضَ لشيءٍ من أذى الناس، سواءٌ في طلبِ للعلمِ، أو عملِه بالعلم، أو دعوتِه وتعليمِه لهذا العلم، فلا بدَّ له من الصبرِ في كلِّ الأحوالِ، قال تعالى: {وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣} [العصر]، وقال عن وصيةِ لقمانَ لولدِه: {يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۝١٧} [لقمان:١٧]، فإن فعَلَ وصبَرَ، فإن الله تعالى يقولُ: {وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥} [البقرة:١٥٥]، ويقولُ: {إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠} [الزمر:١٠].

فطالبُ العلمِ إن أخلص واتقى، وخشي وصبرَ، فيُرجى له أن يكونَ من الأئمَّة الذين يهدون بالحق وبه يعدلون، قال تعالى:

{وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾} [السجدة:٢٤].

فَالصَّبْرُ مِثْلُ اسْمِهِ مُرٌّ مَذَاقَتُهُ * لَكِنْ عَوَاقِبُهُ أَحْلَى مِنَ العَسَلِ

ولذا قال اللهُ تعالى للنبيِّ ﷺ: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ...} [الأحقاف:٣٥] وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾} [البقرة:١٥٣]، فيكفي أن الصابرَ ينالُ معيَّةَ الله الخاصة له.

خامسًا: الصدقُ:

الصدقُ نقيضُ الكذب، وهو فضيلةُ الفضائلِ، ومن مكارمِ الأخلاقِ، وهو قولُ الحقِّ والحقيقة، فيجب على المسلِم عمومًا وطالبِ العلم خصوصًا أن تكونَ صفتُه الصدقَ، قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾} [التوبة:١١٩].

والصدقُ منجاةٌ لصاحبه في الدنيا والآخرة، قال سبحانه: {قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ...} [المائدة:١١٩]، فطالبُ العلمِ الشريفِ لا بدَّ أن يتحلَّى ويتجمَّلَ بالصدقِ ظاهرًا وباطنًا، صدقٍ في

النوايا، وصدقٍ في الأقوال والأفعال، وصدقٍ مع الله تعالى، وصدقٍ مع الناس.

والصدقُ دليلُ الإخلاصِ، قال النبي ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالكَذِبَ، فَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا»(١).

وهل يُعقَلُ أن طالبَ علمٍ شرعيٍّ يحمِلُ كتابَ اللهِ وسنةَ رسوله يكون كذابًا؟! فالصدقُ أعزُّ صفاتِ الأنبياءِ، وأتباعِهم، وورثتِهم من العلماءِ، وطلابِ العلم، فهم القدوةُ للناسِ فى الخيرِ، ولا يصحُّ عقلًا، ولا شرعًا، ولا عرفًا أن يكونَ القدوةُ المعلمُ للخيرِ كذَّابًا، وكان النبيُّ ﷺ معروفًا قبل البعثةِ بالصادقِ الأمينِ.

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

سادسًا: الأمانة:

فالأمانةُ ضدُّ الخيانة، وهي اسمٌ لما يُؤتمَنُ عليه الإنسانُ، وهي كلُّ حقٍّ يلزَمُ الإنسانَ أداؤُه وحفظُه، فكلُّ ما فرضَه اللهُ تعالى على الإنسان فهو أمانةٌ؛ كالصَّلاةِ، والصيامِ، وصِلة الرَّحِم، وأداء الحقوقِ، ونحوِ ذلك، والجوارحُ أمانةٌ لا يعصي العبدُ بها ربَّه، والودائعُ أمانةٌ، وإتقانُ العملِ أمانةٌ، والكلمةُ أمانةٌ، والولدُ، والزوجةُ، والمسؤولياتُ، والقرآنُ والسُّنةُ، وكذلك البلاغُ عن اللهِ كلَّ شيءٍ أنعم علينا به أو كلَّفَنا به فهو أمانةٌ.

فالأمانةُ هي الفريضةُ العظمى التي أَبَتِ السمواتُ والأرضُ والجبالُ أن يحمِلْنها، وأشفَقْنَ منها، وحمَلَها الإنسانُ، قال الله تعالى: {إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢} [الأحزاب:٧٢]، وقال اللهُ جل وعلا: {۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا...} [النساء:٥٨]، وقال: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٧} [الأنفال:٢٧].

وإذا لم يكن طلابُ العلم هم الأمناءَ فمَن يكونُ أمينًا؟!

فواجبٌ على طالبِ العلمِ أن يكون أمينًا على دينِه؛ على كتابِ الله وسنةِ رسولِه ﷺ، وعلى فهمِ السلف الصالح، على الدعوةِ إلى الله تعالى، على الالتزامِ بالعملِ الصالحِ مع النيةِ الخالصةِ، أمينًا على عرضِه وأعراضِ الناسِ، على مالِه، وأموالِ الناس، على ولدِه وأولاد الناس... إلى آخره.

فطلابُ العلمِ هم القدوةُ للناسِ بتعلُّمِهم للوحي الإلهيِّ، ومِن المنتظَرِ أن يكونوا علماءَ الأمَّةِ، وكلُّ أمَّةٍ تُقَدَّرُ بعلمائِها؛ فلا بدَّ أن يكونوا أمناءَ.

ومن صفاتِ الأنبياء عمومًا الصدقُ، والأمانةُ، والفصاحةُ، والفطانةُ.

وكان النبيُّ محمد ﷺ معروفًا قبل نبوَّتِه بالصادق الأمين، فكانوا يقولون: راح الأمين، وجاء الأمين؛ يقصدون به رسولَ اللهِ ﷺ قبل بعثتِه.

سابعًا: التواضع:

التواضعُ ضدُّ الكِبرِ، والكِبرُ هو ردُّ الحقِّ، واحتقارُ الناسِ، والتواضعُ هو: قبولُ الحقِّ والانقيادُ له، واحترامُ الناس، قال اللهُ تعالى مربيًا رسولَه مؤدِّبًا إياه: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ [الشعراء:٢١٥]، وقال النبي ﷺ لأمَّتِه «وَإِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»(١).

والعلمُ يضيعُ بين الكِبْرِ والحياءِ، فالذي يتكبَّرُ عن السؤالِ، أو على شيخِه، أو أقرانه لا يوفَّقُ؛ بل يصرِفُ اللهُ عنه الفهمَ الصحيحَ للعلم؛ كما قال الله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأعراف:١٤٦].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٥).

فلن يكونَ المرءُ طالبًا للعلم إلا إذا أخذه عمَّن فوقَه، ومن هو مثلَه، ومن دونَه، فالحِكمةُ ضالَّةُ المؤمن، أَنَّى وجَدَها التقطها، والكِبرُ سبيلُ الحرمانِ، وسبيلُ الجهلِ والغشِّ، وطريقُ النارِ، قال النبيُّ ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**»(١).

وانظر إلى تواضعِ نبيِّ الله موسى عليه السلام، فهو الكليمُ الذي كلَّمه ربُّه تكليمًا، وهو المصطفى في زمانِه بكلامِ الله ورسالتِه، وهو الذي اصطنعه اللهُ لنفسه وعلى عينِه، وهو نبيُّ بني إسرائيل؛ لمَّا علِمَ أن هناك نبيًّا في مجمعِ البحرينِ، اسمُه الخضِرُ، وعنده من العلم ما ليس عنده؛ سأل وقال: «**يَا رَبِّ كَيْفِ السَّبِيلُ إِلَيْهِ**»(٢)، ورحل إلى الخَضِرِ؛ ليتعلَّمَ منه من العلم ما ليس عنده، ولم يتكبَّرْ، ولم يقُلْ: أنا نبيٌّ ورسولٌ، وعندي العلمُ الكثيرُ، وإنَّما رحل إليه متواضعًا خافضًا جناحه قائلًا: ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ٦٦﴾ [الكهف:٦٦]، فيقولُ له الخضرُ: ﴿إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٦٧﴾

(١) أخرجه مسلم (٩١).
(٢) أخرجه البخاري (٤٧٢٧).

www.alukah.net

[الكهف:٦٧]، فيقولُ موسى: {سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرًا ﴿٦٩﴾} [الكهف:٦٩].

ومن تواضعَ لله، وبذل نفسَه لله، رفعَه اللهُ، وأعزَّه، وعلَّمه، وفقَّهه، وأيَّده، ونصره.

ثامنًا: الحياء:

من أهم ما يجِبُ أن يتحلَّى به المسلمُ عمومًا، وطالبُ العلمِ خصوصًا: خُلُقُ الحَياءِ، وهو الحِشمةُ والوقارُ والمروءةُ التي تحمِلُ على فعلِ كلِّ مليحٍ، وتركِ كلِّ قبيحٍ، خُلُقٌ يبعَثُ على خشيةِ الله تعالى بالغَيبِ والشهادة، واحترامِ الناسِ وحسنِ سياستهم.

وهو ضدُّ الوقاحةِ، وهو خلُقُ الإسلامِ الأعظمُ، قال النبيُّ ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الإِسْلَامِ الحَيَاءُ»[(١)]، وقال ﷺ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ- أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ- شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»[(٢)]،

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١٨١).

(٢) أخرجه مسلم (٣٥).

وقال ﷺ: «الحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ»[١]، وقال ﷺ: «الحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ»[٢].

والحياءُ من الله تعالى هو كما بيَّنه النبيُّ ﷺ في قولِه لأصحابه: «اسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ حَقَّ الحَيَاءِ». قلنا: يا رسول الله، إنا نستحي والحمدُ لله، قال: «لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الاِسْتِحْيَاءَ مِنَ اللهِ حَقَّ الحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْتَذْكُرِ المَوْتَ وَالبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ حَقَّ الحَيَاءِ».

فبيَّن أن الحياءَ هو حفظُ القلبِ، واللسانِ، والجوارحِ عن معصيةِ الله ظاهرًا وباطنًا، وهذا هو الحياءُ من الله تعالى.

والحياءُ من الناسِ يكونُ بكفِّ الأذى، وتركِ المجاهرةِ بالقبيح.

(١) أخرجه البخاري (٦١١٧)، ومسلم (٣٧).

(٢) أخرجه مسلم (٣٧).

وحياءُ العبدِ من نفسِه يكونُ بإعفافِها، وصيانتِها عما حرَّم اللهُ في السرِّ والعلنِ، فمَن عمِل في السر عملًا يستحيي منه في العلانية؛ فليس لنفسِه عنده قدرٌ.

فإذا لم يكُنْ طالبُ العلمِ عبدًا حَيِيًّا من ربِّه، ومن نفسِه، ومن الخلقِ، فمن يكون حييًّا؟!

فإذا اجتمع في طالبِ العلمِ الإخلاصُ والتقوى، والخشيةُ والصبر، والصدق والأمانةُ والحياءُ فيُرجى له أن يكونَ من خِيرةِ الخلق، ودعاةِ الحقِّ.

ولكن يا طالبَ العلم، إيَّاك أن يمنعَكَ الحياءُ عن طلبِ العلمِ، وسؤالِ العلماءِ عما أشكَلَ عليك، فالعلمُ يضيعُ بين الكِبْرِ والحياءِ، فمن تكبَّر ظلَّ جاهلًا، ومَن استحيا مِن السؤالِ سيظلُّ جاهلًا، فالحياءُ الذي تضيعُ به الحقوقُ ويورثُ الجهلَ حياءٌ مذمومٌ، وهذا ضَعفٌ في النفس، وليس حياءً، فقد كان الصحابةُ رجالًا ونساءً أهلَ حياءٍ وعفةٍ، ولم يمنَعْهم الحياءُ عن أن يسألوا النبيَّ ﷺ في جميعِ شؤونِهم الدينيةِ، فقد كانت المرأةُ تسأل النبيَّ ﷺ عن كيفيةِ الغسلِ

من الجنابةِ والحيضِ، وتسألُ إذا هي احتلَمتْ، هل عليها من غسلٍ؟

وإليك أمثلةً تبيِّنُ أن الحياءَ لا يمنَعُ تعلمَ الأحكامِ الشرعيةِ الضروريةِ التي يحتاج إليها المسلمون لإقامةِ عباداتهم على الوجه الصحيحِ: قالت أمُّ المؤمنين عائشةُ رضي الله عنها: يرحَمُ اللهُ نساءَ الأنصارِ، لم يمنَعْهنَّ الحياءُ أن يتفقَّهْنَ في الدِّينِ[(١)].

وعن أمِّ سلمة رضي الله عنها قالت: جاءت أمُّ سُلَيمٍ إلى رسولِ الله فقالت: يا رسولَ الله، إن اللهَ لا يستحيي من الحقِّ، فهل على المرأةِ من غسلٍ إذا احتلمت؟ فقال: «**نَعَمْ، إِذَا رَأَتِ المَاءَ**». فغَطَّتْ أمُّ سَلَمَةَ وجهها- أي: من الحياء- وقالت: يا رسولَ اللهِ أوَ تحتلِمُ المرأةُ؟ قال: «**نَعَمْ، تَرِبَتْ يَمِينُكِ! فَبِمَ يُشْبِهُهَا وَلَدُهَا؟**»[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم (٣٣٢)، وعلقه البخاري (١/ ٣٨).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٠).

وأمُّ سُلَيم رضي الله عنها صدَّرتْ سؤالَها للنبي ﷺ بقولها: إنَّ الله لا يستحيي من الحقِّ؛ أي: إنَّ اللهَ عز وجل لا يأمُرُ بالحياءِ في مثل تلك الأمورِ؛ للتعلُّمِ والتفقُّهِ في أمورِ الدينِ وأحكامِه.

ولذلك قالت لأمِّ سَلَمةَ: إذا لم نسألْ رسولَ اللهِ ﷺ سنظَلُّ على عُمِّيَّةٍ من ديننا.

وقالت عائشةُ رضي الله عنها: نِعمَ النساءُ نساءُ الأنصارِ؛ لم يكنْ يمنَعْهنَّ الحياءُ أن يتفقَّهن في الدِّينِ.

فلا يجوزُ أن يمنعَنا الحياءُ عن تعلُّمِ أمورِ الدينِ؛ لكن نسألُ بأدبٍ وحياءٍ؛ فعن عائشةَ رضي الله عنها أن أسماءَ دخلت على رسولِ الله ﷺ فقالت: يا رسولَ الله، كيف تغتسِلُ إحدانا إذا طهُرتْ من الحيضِ؟

قال: «**تَأْخُذُ سِدْرَهَا وَمَاءَهَا فَتَوَضَّأُ، ثُمَّ تَغسِلُ رَأْسَهَا، وَتَدْلُكُهُ حَتَّى يَبْلُغَ المَاءُ أُصُولَ شَعْرِهَا، ثُمَّ تُفِيضُ عَلَى جَسَدِهَا، ثُمَّ تَأْخُذُ فِرْصَتَهَا فَتَطَّهَّرُ بِهَا**». قالت: يا رسول اللهِ، كيف أتطهَّرُ بها؟

قالت عائشةُ: فعرَفتُ الذي يُكَنِّي عنه رسولُ اللهِ ﷺ، فقلت لها: تتَّبعينَ أثرَ الدمِ[(١)].

وعن أمِّ سلمةَ رضي الله عنها أنها سألت النبيَّ ﷺ فقالت: إني امرأةٌ أشدُّ شعرَ رأسي- أي: أجعَلُه ضفائرَ- أفأنقُضُه لغُسلِ الجَنابةِ؟ وفي روايةٍ: للحيضِ والجنابةِ؟

فقال: «**لَا، إِنَّمَا يَكْفِيكِ أَنْ تَحْثِي عَلَى رَأْسِكِ ثَلَاثَ حَثَيَاتٍ، ثُمَّ تُفِيضِينَ عَلَيْكِ المَاءَ فَتَطْهُرِينَ**»[(٢)].

واختلف المهاجرون والأنصارُ يومًا في مسألةٍ فقهيةٍ: إذا أتى الرجُلُ أهلَه ولم يُنزِلْ، هل عليهما غسلٌ؟

قال أبو موسى الأشعريُّ: اختلف في ذلك رهطٌ من المهاجرين والأنصار، فقال الأنصاريون: لا يجِبُ الغسلُ إلا من الدَّفْقِ أو من الماءِ، وقال المهاجرون: بل إذا خالط فقد وجَبَ الغسلُ. قال أبو موسى: فأنا أشفيكم من ذلك، فقمتُ فاستأذنتُ على عائشةَ، فأُذِن

---

(١) أخرجه أبو داود (٣١٤).

(٢) أخرجه مسلم (٣٣٠).

لي، فقلت لها: يا أُمَّاه- أو يا أمَّ المؤمنين-: إني أريدُ أن أسألَكِ عن شيءٍ، وإني أستحييك. فقالت: لا تستحيي أن تسألَني عما كنتَ سائلًا عنه أمَّك التي ولدتك، فإنما أنا أمُّك، قلتُ: ما يوجِبُ الغسلُ؟

قالت: على الخبيرِ سقطْتَ، قال رسولُ الله ﷺ: «**إِذَا جَلَسَ بَيْنَ شُعَبِهَا الأَرْبَعِ ثُمَّ جَهَدَهَا، فَقَدْ وَجَبَ عَلَيْهِ الغُسْلُ**»(١).

قال مسلم: وفي حديثِ مطرٍ: «**وَإِنْ لَمْ يُنْزِلْ**»(٢).

وعن عائشةَ رضي الله عنها أن رجلًا سأل النبيَّ ﷺ عن الرجلِ يجامِعُ أهلَه ثم يُكْسِلُ هل عليهما الغسلُ؟ وعائشةُ جالسةٌ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**إِنِّي لأَفْعَلُ ذَلِكَ، أَنَا وَهَذِهِ، ثُمَّ نَغْتَسِلُ**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩١)، ومسلم (٣٤٩).

(٢) مسلم (٣٤٨).

(٣) أخرجه مسلم (٣٥٠).

ففي هذا الحديثِ جوازُ ذكرِ مثلِ هذا بحضرةِ الزوجةِ، إذا ترتَّب عليه مصلحةٌ، ولم يحصُلْ به أذًى، وإنما قال النبيُّ ﷺ ذلك ليبيِّنَ أن فِعلَه يفيدُ الوجوبَ.

والشاهدُ مِن ذلك أن الصحابةَ سألوا رسولَ اللهِ ﷺ، وأمهاتِ المؤمنين عن أحكامٍ شرعيةٍ، لو استحيينا من ذكرِها لجهِلْنا حكمَها.

ومن ذلك أيضًا قولُ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه: كنتُ رجُلًا مَذَّاءً- أي: كثيرًا ما يخرُجُ منه المَذْيُ، وهو سائل لزِجٌ يخرُجُ من مجرى البولِ عندما يشتهي الرجلُ امرأتَه ونحو ذلك- قال: وكنتُ أستحيي أن أسألَ النبيَّ ﷺ لمكان ابنتِه- أي: لأنه زوجُ ابنةِ النبيِّ ﷺ- فأمرتُ المِقدادَ بنَ الأسودِ أن يسألَ رسولَ الله، فسأله فقال: «**يَغْسِلُ ذَكَرَهُ وَيَتَوَضَّأُ**»(١).

فقد بيَّن النبيُّ ﷺ أنَّ المَذْيَ لا يوجِبُ الغُسلَ كالمَنيِّ، ولو لم يسألْ عن ذلك لوجد مشقةً شديدةً، قال عليٌّ: كنتُ أغتسِلُ حتى

(١) أخرجه مسلم (٣٠٣).

تشقَّقَ جلدُ ظهري؛ أي: كلما خرج منه مذيٌ اغتسل حتى أصابَه من شدةِ البردِ أن تشقَّقَ جلدُ ظهرِه، وذلك قبل أن يسألَ النبيَّ ﷺ.

ويستفادُ من هذا الحديث: أن من استحيا من السؤالِ أمَرَ غيرَه أن يسألَ حتى يعْلَمَ الحكمَ، ولا تضيعَ الفائدةُ، ويَرفَعَ الجهلَ.

تاسعًا: العِفَّة:

أصلُ العفةِ: الكفُّ عما لا يحِلُّ.

العِفَّةُ خلُقٌ إيمانيٌّ رفيعٌ، وثمرةٌ من ثمراتِ الإيمان، وانتصارٌ على النفسِ والهوى والشهواتِ والشياطين والدنيا، وهي إقامةُ العفافِ والنزاهةِ والطهارةِ في النفوسِ، وغرسُ الفضائلِ والمحاسن في المجتمعات.

وهي بُعدٌ عن سفاسفِ الأمورِ، وعما يخدِشُ الحياءَ والمروءةَ.

ومن أفضلِ ما عُرِّفتْ به العِفةُ أنها: تنزيهُ النفسِ وضبُطها عن الانسياقِ وراءَ الشهواتِ، والكفُّ عن المحرَّماتِ، وعن سؤال الناسِ على وجه الاستعطافِ والاستجداءِ.

والعفَّةُ مطلبٌ شرعيٌّ كان النبي ﷺ يدعو ربَّه أن يرزَقه إياها: «اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَى وَالتُّقَى، وَالعَفَافَ وَالغِنَى»[(١)].

ويجِبُ على المسلمِ عمومًا، وطالبِ العلمِ خصوصًا الذي يؤهَّلُ لئن يكونَ من وَرَثةِ الأنبياءِ أن يكونَ مَوْسُومًا بلباسِ العِفةِ في كل شيءٍ، عفةِ اللسانِ، فلا يتكلَّمُ إلا بخيرٍ، عفةِ اليدين، فلا تبطِشُ إلا في طاعةٍ، عفةِ الرِّجلينِ، فلا تمشي إلا في طاعةٍ، عفةِ البطنِ، فلا يدخلُها حرامٌ ولا مشبوهٌ، عفةِ الفرجِ، فلا يشتهي إلا ما أحلَّه اللهُ له، عفةِ البصرِ، فلا ينظُرُ إلى ما حرَّم اللهُ، عفةِ القلبِ عن كلِّ الأمراضِ التي تصيبُ القلوبَ من الكبرِ، والعُجبِ، والحسدِ، والرياءِ، والسُّمعة، ونحوِ ذلك.

والعفةُ في كسبِ المال؛ فيكونُ ورِعًا بعيدًا عن المالِ الحرامِ والمشبوهِ، بعيدًا عن أكل الصدقاتِ، فإنها أوساخُ الناسِ، يكونُ له كسبٌ حلالٌ من تجارةٍ، أو حرفةٍ، أو وظيفةٍ، ولا يكونُ عالةً على

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢١).

غيرِ اللهِ، ويكونُ عاليَ اليدِ مرفوعَ الرأسِ، ليس لأحدٍ غيرِ الله فضلٌ عليه.

العفَّةُ عن الفواحشِ ما ظهَرَ منها وما بطَنَ.

العفَّةُ عن حضورِ مجالسِ اللغوِ، والاختلاطِ المحرَّم.

لأن أصلَ العِفَّةِ نوعان:

الأول: عفةٌ عن المحارمِ، وهي ضبطُ اللسانِ والفرجِ، وفيها يقول النبيُّ ﷺ: «**مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ**»(١)؛ أي: من يحفَظْ لسانَه وفرجَه ضمِنَ الجنةَ.

والثاني: العفةُ عن المآثِمِ، وهي تشمَلُ الكفَّ عن المجاهرةِ بالظلمِ، وزجرَ النفسِ عن الإسرارِ بخيانةٍ أو بجنايةٍ، وهي تتعلَّقُ بالقلبِ والجوارحِ.

والمسلمُ عمومًا- وطالبُ العلمِ خصوصًا- إذا تحلَّى بالعفةِ، فيُرجَى له معونةُ اللهِ وكفايتُه، وإظلالُه في ظلِّ عرشِه يومَ القيامةِ، وإغناؤُه من فضلِه، فقد ورد عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**ثَلَاثَةٌ حَقٌّ عَلَى**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٧٤).

اللهِ عَوْنُهُمْ: المُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالمُكَاتَبُ الَّذِي يُرِيدُ الأَدَاءَ، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ العَفَافَ»[١]. فاللهُ يعينُ المتعفِّفَ ويَكفيه، وقال النبي ﷺ: «وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَصْبِرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ»[٢]. فاللهُ تعالى يعِفُّ العفيفَ، ويغنيه، ويسترُه قال الله تعالى: {وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ} [النور:٣٣]؛ أي: إن استعفوا أغناهم من فضلِه.

والعفةُ عن الحرامِ سبيلُ الفَرَجِ من الكَرْبِ، والنجاةِ من الهلاكِ، ففي قصةِ أصحابِ الغار الثلاثةِ قال أحدُهم: «اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمْ أَنَّهُ كَانَ لِي ابْنَةُ عَمٍّ، مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنِّي رَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَبَتْ، إِلَّا أَنْ آتِيَهَا بِمِئَةِ دِينَارٍ، فَطَلَبْتُهَا حَتَّى قَدَرْتُ، فَأَتَيْتُهَا بِهَا فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا، فَأَمْكَنَتْنِي مِنْ نَفْسِهَا، فَلَمَّا قَعَدتُّ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، فَقَالَتْ: اتَّقِ اللهَ، وَلَا تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُ المِئَةَ دِينَارٍ، فَإِنْ

---

(١) أخرجه الترمذي (١٦٥٥).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣).

كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَفَرَّجَ اللهُ عَنْهُمْ فَخَرَجُوا»[(١)].

فلما استعفَّ عن الزِّنا مخافةً من الله أنجاه اللهُ من الهلاك.

والعفةُ سببٌ للنجاةِ يومَ القيامةِ، قال رسول الله ﷺ: «فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحَرَامِ»[(٢)]. فالعفيفُ يتقي الشبهاتِ فيكون من الناجين.

والمتعفِّفُ يرفعُه اللهُ في الدنيا والآخرةِ، ويجعلُه في ظلِّ عرشِه، فقد ورد في الحديث: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ، وَرَجُلٌ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦٥).

(٢) أخرجه مسلم (١٥٩٩).

ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»[١]، فذكر منهم: «وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ».

وهذا نبيُّ اللهِ يوسُفُ عليه السلام لما دعَتْه المرأةُ ذاتُ المنصِبِ والجمالِ إلى الفاحشةِ وتعفَّف؛ آتاه اللهُ الحكمَ، والنُّبوةَ، والجاهَ، والرياسةَ، ومكَّنَ له في الأرض، وجعله مطاعًا، وختم له بالخير.

وهذا العبدُ الصالحُ جريجٌ العابدُ، لما استعفَّ عن الزنا، واتهمه الفساقُ بما ليس فيه جعل اللهُ له المخرجَ والرفعةَ، وأنطقَ الغلامَ الذي أظهَرَ براءتَه، وقال: «أنا ابنُ فلانٍ الراعي»[٢]. فجعل اللهُ له المخرجَ، والنجاةَ، والرفعةَ في قومِه، وخلَّد اللهُ ذِكْرَه في السُّنةِ.

وهذا أبو سعيدٍ الخدريُّ رضي الله عنه جاء ليسألَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم مالًا، فسمِعَه يقولُ: «وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ»[٣]. فرجَعَ ولم يسألْ، فصار من أغنى المسلمين مالًا، وعلمًا، وإيمانًا.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٨٢)، ومسلم (٢٥٥٠).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٢٧)، ومسلم (١٠٥٣).

ومن أعظمِ الأسباب المعينةِ على العفة:

١-الدعاءُ: فكان النبي ﷺ يسألُ ربَّه ويقولُ: «**اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَى وَالتُّقَى، وَالعَفَافَ وَالغِنَى**»(١)، وبخاصةٍ في هذا الزمانِ الذي مُلِئ بالفتنِ.

وهذا نبيُّ اللهِ يوسُفُ عليه السلام مع كونِه معصومًا خشِيَ على نفسِه من فتنةِ النساءِ، فدعا ربَّه قائلًا: ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٤﴾ [يوسف:٣٤-٣٥].

٢-تقوى الله تعالى وخشيتُه بالغيبِ والشهادةِ؛ قال ابنُ عباسٍ في تفسير قولِ الله تبارك وتعالى: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ١٩﴾ [غافر:١٩]، قال: هو الرجلُ يكونُ بين الرجال، فتمرُّ بهم المرأةُ فينظُرُ إليها، فإذا نظر إليه أصحابُه غضَّ بصرَه.

---

(١) سبق تخريجه.

فهذا لا يخشى اللهَ بالغيبِ، وإنما يخشاه فقط أمامَ الناسِ، ولذلك قال تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١٢﴾} [الملك:١٢].

٣-الزواج: قال النبي ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**»(١).

٤-الإكثارُ من الصوم.

٥-اجتنابُ الأسبابِ الموقعة في الفتنِ كالخلوةِ بالأجنبياتِ، وإطلاقِ البصرِ والجوارحِ نحوَ المعاصي.

عاشرًا: الرجولة:

الرجولةُ في الإسلامِ لا تختصُّ بالذكورِ دونَ الإناثِ، فكلُّ رجلٍ ذكرٌ، وليس كلُّ ذكرٍ رجلًا.

والرجولةُ كما هي في الرجال المؤمنين الصادقين؛ كذلك في النساءِ المؤمنات الصادقات.

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٥)، ومسلم (١٤٠٠).

ونعرف معانيَ الرجولةِ من القرآن والسُّنة على النحو الآتي:

فكلمةُ «ذكر» تأتي دائمًا أو غالبًا في المواطنِ الدنيويَّة التي يجتمع فيها الجميعُ، أما كلمةُ «رَجُل»، فتأتي في المواطنِ الخاصةِ التي يحبُّها اللهُ، عند التوحيدِ والإيمانِ، والثباتِ والدعوةِ، والذبِّ عن الدينِ، وعن أولياءِ الله المجاهدين، فمن ذلك:

١- قوله تعالى: {وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم...} [يوسف:١٠٩]؛ وصف الله رسلَه بالرجولة لأنهم القادةُ القدوةُ، الدعاةُ المجاهدون، الصابرون، الصادقون، المتقون.

٢- قال تعالى: {وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ٢٨} [غافر:٢٨].

فالرجولةُ قوةٌ في الحقِّ، ودفاعٌ عن أولياءِ اللهِ ورسلِه وشريعتِه.

٣- قال تعالى: {وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٢١} [يس: ٢٠-٢١].

الرجولةُ دعوةٌ إلى الله تعالى؛ غيرةً على التوحيد، ودفاعًا عن السُّنةِ، ودفاعًا عن الدعاةِ إلى الله، الرجولةُ جهادٌ في سبيل اللهِ بالنفسِ والمالِ.

٤-قال تعالى: {وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢٠} [القصص: ٢٠].

فمَن اتَّصف بالرجولةِ كان بطانةً صالحةً للعلماءِ والمصلحين، أمناءَ عليهم وعلى دينِهم، يحذِّرونهم من الشرِّ وأهلِه الذين يتآمرون على أهلِ العلمِ والهدى.

٥- قال تعالى: {رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ٣٧} [النور: ٣٧].

فالرجولةُ ثباتٌ على الحق، قيامٌ بأمرِ الله يطلبون الدنيا لمصلحةِ الدين، لا تُلهيهم الدنيا عمَّا خُلقوا له.

٦-قال الله تعالى: {مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾} [الأحزاب:٢٣].

فالرجولةُ صدقٌ في العهود، وثباتٌ على الحقِّ، وصبرٌ على الطاعة، وعن المعصية، وعلى أقدارِ الله تعالى، ولزومُ نهجِ النبي ﷺ وأصحابِه، واجتنابُ البدعِ والمحدثاتِ.

الرجولةُ ليست بضخامةِ الجسم، ولا ببهاءِ المنظرِ، ولا بعلوِّ الصوت، وإنما بصلاحِ القلوبِ، وثقلِها عند الله تعالى؛ «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ**»(١).

عن عليِّ بنِ أبي طالب رضي الله عنه قال: أمر النبيُّ ﷺ ابنَ مسعودٍ فصعِدَ شجرةً، أمره أن يأتيَه منها بشيءٍ، فنظر أصحابُه إلى ساقِ عبد الله بنِ مسعود حين صعِدَ الشجرةَ، فضحِك القومُ منه، فقال النبيُّ ﷺ:

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

«مِمَّ تَضْحَكُونَ؟». قالوا: يا نبيَّ اللهِ، مِنْ دِقَّةِ ساقَيْه. فقال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي المِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ»[(١)].

٧-قال الله تعالى: {قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾} [المائدة:٢٣].

فالرجولةُ يقينٌ بالله، وثقةٌ به، وتوكلٌ عليه في نُصرةِ دينه وأنبيائه، ومدافعةِ أعدائه.

٨- قال تعالى: {لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾} [التوبة:١٠٨].

فالرجالُ هم أهلُ المساجدِ العُبّادُ والدعاةُ، فالرجولةُ طهارةٌ من الأوساخِ الظاهرةِ والباطنةِ، طهارةُ القلبِ من البدعِ والشركياتِ والمنكرات، وطهارةُ الجوارحِ من المعاصي والموبقات بالتوحيد والتقوى والعمل الصالحِ.

---

(١) أخرجه أحمد (٣٩٩١).

ومن صور الرجولةِ في النساء ما كان عليه أزواجُ النبي ﷺ من العلمِ والعملِ والتعليمِ للأمة، وما كانت عليه فاطمةُ بنتُ رسول الله ﷺ التي كانت أشبهَ الناسِ سمتًا، وهديًا، ودلًّا برسول اللهِ ﷺ.

وما كانت عليه خديجةُ بنتُ خوَيلِدٍ؛ إذ آمَنَتْ برسولِ الله ﷺ، وواسَتْه بنفسِها ومالِها وكلِّ ما تملِكُ؛ نُصرةً له ولدعوتِه.

وما كانت عليه الرُّمَيْصاءُ أمُّ سُليمٍ بنتُ مِلحان الأنصاريةُ، وغيرها من نساءِ الصحابةِ في خدمةِ ونصرةِ الرسولِ ﷺ، وحسنِ اتباعِه.

ونخلص مما سبق إلى أن معنى الرجولةِ التي يجب أن تتحقَّقَ في المسلم عمومًا- وطالبِ العلم خصوصًا- هي الإيمانُ بالله ورسوله، والاستقامةُ على الكتاب والسُّنةِ بفهم سلف الأمَّة، والجهادُ في سبيلِ اللهِ بالنفسِ، والمالِ، والعيال، والذَّبُّ عن اللهِ ورسولِه وكتابِه، وأوليائه الدُّعاةِ الصادقين المُخلِصين الموحِّدين، وذلك كلُّه لا يتحققُ إلا بطلبِ العلمِ النافعِ، والعملِ الصالح، والدعوةِ إلى الله، والصبرِ لله في كل ذلك.

فالرجولةُ أخلاقٌ كثيرةٌ؛ إخلاصٌ، وصدقٌ، وأمانةٌ، ووفاء، وعفَّة، وقناعةٌ، وزهادةٌ فى الدنيا، وقوةٌ في الدين، وعلمٌ، وعمل، وصبرٌ، وكرمٌ، وشجاعةٌ، وتحمُّل مسئوليةِ الدين والدنيا.

وطالبُ العلمِ الذى يُرجى له أن يكونَ من ورثةِ الأنبياءِ، ومن حملةِ الكتابِ والسنةِ، ومن الدعاةِ المجاهدين في سبيلِ اللهِ، إذا لم يكنْ رجلًا بهذه المعاني فلا يصلُحُ لهذا الطريق، قال تعالى: {قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾} [يوسف:١٠٨].

والنبيُّ ﷺ وأتباعُه يدعون إلى اللهِ على بصيرةٍ؛ أي: على علمٍ، وحِلمٍ، وفَهمٍ، وحِكمةٍ، ورِفقٍ، ولينٍ.

٩-قال تعالى: {فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾} [النور:٣٦-٣٧].

حادي عشر: المروءة

مما يجِبُ أن يتصِفَ به طالبُ العلمِ- والمسلمُ عمومًا- صفةُ المروءةِ، وهي كمالُ الرجوليةِ التي يحفظ بها المرءُ دينَه وهيبتَه، بغلبةِ العقل على الشهوةِ، وهي أدبٌ يحمِلُ صاحبَه على الوقوفِ عند محاسنِ الأخلاقِ، وجميلِ العاداتِ، وتركِ ما يجلِبُ الذمَّ من النقائصِ في الأخلاقِ، أو العاداتِ.

ويجِبُ على طالبِ العلمِ أن يكونَ ذا مروءةٍ مع ربِّه جل وعلا، وذلك باستجابته لأوامرِه، واجتنابِه لنواهيه، والحياءِ منه أن يراه على معصيةٍ، وشكرانِ نعِمَه الظاهرةِ والباطنةِ، وأن يخشاه بالغيبِ والشهادةِ.

كما يجِبُ عليه أن يكونَ ذا مروءةٍ مع نفسِه، بأن يحمِلَها على ما يجمِّلُها ويزيِّنَها، وأن يجنِّبَها ما يدنِّسُها ويهينها مع الله أو مع الخلقِ، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس:٩-١٠].

كما يجبُ عليه أن يكون ذا مروءةٍ مع الخلقِ، وذلك بإيفاءِ حقوقِهم، وقضاءِ حوائجِهم، ومواساتِهم في أحزانِهم وأفراحِهم، مع بشاشةِ الوجهِ، وسلامةِ اللسانِ، والقلبِ، وكمالِ العفةِ، وهذه هي أنواعُ المروءةِ الثلاثة.

كما يجبُ على طالب العلمِ ومعلِّمِ الناسِ الخيرَ أن يتجنَّبَ خوارمَ هذه المروءةِ، وذلك بتركِ المحرماتِ، واجتنابِ المكروهاتِ، وما ينافي الأدبَ والحشمةَ مما تعارفه الناسُ؛ وإن كان لا يخالِفُ الشرعَ؛ كالإكثار من المُزاحِ، ورفعِ الصوتِ بالضحكِ، والأكلِ في الأسواقِ والشوارعِ أمامَ الناس، والوقوعِ في الشبهات، أو فعلِ المحرمات، والاختلاطِ بالأجنبيات، ومتابعةِ الأفلامِ والمسلسلاتِ والمسرحيات والمباريات، وشربِ الدخان والمخدِّرات، ومجالسةِ السفهاءِ والسفيهاتِ، وفعل حركاتٍ هزليةٍ لإضحاك الناسِ، وتعمُّدِ إخراجِ الريح بصوتٍ لإضحاك الناس، ومحاكاةِ شخصٍ معينٍ في مِشيتِه أو طريقةِ كلامِه، ومضاربةِ الدِّيَكةِ، وتذوقِ الأطعمةِ والفاكهةِ والحلوى عند البائعين بدناءةِ نفسٍ، سواءٌ

باستئذانِهم أو بغيرِ ذلك، وكشفِ العورةِ أمامَ الناس- سواءٌ المغلّظةُ أو غيرُها- والتطلعِ إلى ما في أيدي الآخرين، واستكثارِ النِّعَمِ على الغيرِ، وتبرج النساءِ وإظهارِهنَّ للمفاتنِ والعوراتِ، وجرأتِهنَّ على الرجالِ، ورقصِهنَّ في الأفراحِ والمناسباتِ بالرقص المعروف حاليًا بإثارة الشهوات- سواءٌ كان ذلك أمامَ الرجالِ أو النساء- وضَحِكِهنَّ بصوتٍ مرتفعٍ أو برعونةٍ أمامَ الرجال أو النساء، ونحو ذلك.

وقد ورد في القرآن العظيمِ صفاتُ المروءةِ التي ينبغي أن تتوفر في طالبِ العلمِ، ومعلِّمِ الناسِ الخيرَ؛ قال اللهُ تعالى: {وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ

ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ
مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ
ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ
صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا
مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ
عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا
وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ
ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ
حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾} [الفرقان:٦٣-٧٦].

وقال تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ
خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ
فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا
مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ
فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾
وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾
ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾} [المؤمنون:١-١١].

وقيل لسفيانَ بنِ عُيَينة: قد استنبطتَ من القرآن كلَّ شيءٍ، فهل وجدتَّ المروءةَ فيه؟ قال: نعم، في قوله تعالى: {خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾} [الأعراف:١٩٩].

فيُستفاد من الآية: المروءةُ وحسنُ الأدبِ، ومكارمُ الأخلاقِ، فجمع في قوله: {خُذِ ٱلْعَفْوَ} صلةَ القاطعين، والعفوَ عن المذنبين، والرفقَ بالمؤمنين، وغيرَ ذلك من أخلاقِ المطيعين.

ودخل في قوله: {وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ} صلةُ الأرحامِ، وتقوى الله في الحلالِ والحرامِ، وغضُّ الأبصارِ، والاستعدادُ لدارِ القرار.

ودخل في قوله: {وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ} الحضُّ على التخلقِ بالحِلمِ، والإعراضُ عن أهل الظلمِ، والتنزُّهُ عن منازعةِ السفهاءِ، ومساواةُ الجهلةِ والأغبياءِ، وغيرُ ذلك من الأخلاقِ الحميدةِ، والأفعالِ الرشيدةِ(١).

وقال تعالى: {۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٧/ ٣٤٤).

تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾} [النحل: ٩٠-٩٢].

وقال تعالى على لسان لقمان لولده: {يَـٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾} [لقمان: ١٧-١٩].

وقد وردت جميعُ صفاتِ المروءةِ في السنةِ أيضًا المجموعةِ في أخلاق النبيِّ ﷺ وأدبه وسيرتِه العطرةِ، من سنته القوليةِ والفعليةِ والتقريريةِ، فهو الذي قال: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلَاقِ**»(١).

---

(١) أخرجه أحمد (٨٩٥٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فكان هو إمامَ المروءةِ، والرجولةِ، والشهامةِ قبلَ بعثتِه، وبعد بعثته ﷺ، فهو الذي قالت له زوجُه خديجةُ الكاملةُ الطاهرةُ: كلَّا واللهِ ما يُخزيك اللهُ أبدًا، إنَّك لتَصِل الرَّحِمَ، وتَقْري الضَّيفَ، وتحمِلُ الكَلَّ، وتَكسِبُ المعدومَ، وتُعينُ على نوائبِ الحقِّ.

وهو القائل ﷺ: «**المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**»[(١)]، وهو القائلُ ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ - أَوْ قَالَ: لِجَارِهِ - مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»[(٢)].

والقائل ﷺ: «**مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ**»[(٣)].

والقائل ﷺ: «**أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا**»[(٤)].

والقائل ﷺ: «**السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ كَالمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ**»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (١٠)، ومسلم (٤٢).
(٢) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥).
(٣) أخرجه مسلم (٢١٩٩).
(٤) أخرجه البخاري (٥٣٠٤).
(٥) أخرجه البخاري (٥٣٥٣)، ومسلم (٢٩٨٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والقائل ﷺ: «قُولُوا خَيْرًا تَغْنَمُوا، وَاسْكُتُوا عَنْ شَرٍّ تَسْلَمُوا»[(١)].

والقائل ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»[(٢)].

والقائل ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»[(٣)].

والقائل ﷺ: «وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَصْبِرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ»[(٤)]؛ إلى آخرِ تلك التوجيهات النبويَّة.

فالمروءةُ خلُقٌ، وأدبٌ، وصفةٌ جالبةٌ لمحبةِ الله للعبد، ومحبةِ الخلق له، وترفعُه عن سَفاسِفِ الأمورِ، ومواطنِ التُّهَمِ، والكذِبِ، والبخلِ، ومساوئِ الأخلاقِ، وتصونُ نفسَه عن الدنايا، وتزيدُ الحسناتِ، وتمحو السيِّئاتِ، فإذا لم يكُنْ طالبُ العلم صاحبَ مروءةٍ، فمن يكونُ؟!

---

(١) أخرجه الحاكم (٧٨٥٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٨).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

ثاني عشر: الكرمُ والجودُ والسخاءُ والسماحةُ.

الكرمُ يُطلَقُ على كل ما يُحمَدُ من أنواعِ الخيرِ، والشرفِ، والجودِ، والعطاء، والإنفاق بطيبِ نفسٍ، وهو ضدُّ البخلِ، وهو من أشرفِ الخصالِ والسجايا، وأعزِّ المواهبِ وأخلدِ المآثِرِ.

فالجودُ في اللغةِ هو المطرُ الغزيرُ، والجَوادُ هو الذي يعطي بلا مسألةٍ؛ صيانةً للآخِذِ من ذلِّ السؤالِ وبلا عوضٍ، وإعطاء ما ينبغي لمن ينبغي.

والكرمُ ضدُّ اللؤمِ، وهو الإعطاءُ بسهولةٍ.

والسخاءُ هو سهولةُ الإنفاقِ والبذلِ.

والبذلُ هو الإعطاءُ عن طيبِ نفسٍ، وهو نقيضُ المنعِ.

فالكرمُ، والجودُ، والسخاء، والبذلُ: كلُّها معانٍ متقاربةٌ، وهذه الصفاتُ مما ينبغي على المسلمِ عمومًا- وطالبِ العلم خصوصًا- أن يتحلَّى بها، وأن يكونَ من أهلِها، وهذه الصفاتُ لا علاقةَ لها بالغنى والفقرِ.

فمن صورِ وأنواعِ الجودِ والكرمِ: الكرمُ والجودُ بالمالِ، والعلمِ، والكلمةِ الطيبةِ، والابتسامةِ والبشاشةِ في وجوه الناسِ، والشفاعةِ في جلب النفعِ، ودفعِ الشر، فخيرُ الناسِ أنفعُهم للناس.

ومنها قضاءُ مصالحِ الناس، والإصلاحُ بينهم، والعفوُ عن زلَّاتِهم، وعن ديونِهم؛ بل وقضاءُ ديونِهم، وتركُ الأجر والمقابلِ على بعض الأعمال والخدمات، وأفضلُ أنواعِ الكرم هو الإيثارُ مع الحاجةِ؛ كما أثنى اللهُ تعالى على الأنصارِ فقال عنهم: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ﴾ [الحشر:٩].

فللكرمِ أعظمُ الأثرِ في نفوسِ الناسِ؛ حيث ينشُرُ المودةَ والإخاءَ، والتعاونَ والرحمةَ بينهم، ويقي الكريمَ شرَّ الحقدِ والحسدِ ممَّن يُعطيهم.

والكرمُ يزيدُ البَرَكةَ في العمرِ والرزقِ، وهو من كمالِ الإيمانِ وحسنِ الإسلام، ودليلُ حسنِ الظنِّ باللهِ، والتوكلِ عليه.

ويكفي أنَّ الكرمَ هو صفةُ اللهِ الكريمِ، وهو صفةُ الأنبياءِ والمرسلين، فهذا نبيُّ الله إبراهيمُ عليه السلام حينما يدخُلُ عليه الضيفانُ

يُكرِمُهم أبلَغَ الكَرَمِ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الذاريات: ٢٤-٢٧].

وكان النبيُّ محمدٌ ﷺ أجودَ بالخيرِ من الريح المرسلةِ، وكان أجودَ ما يكونُ في رمضانَ، وقد ضرَبَ الصحابةُ والتابعون لهم بإحسانٍ أروعَ المُثُلِ في الكرمِ والإيثارِ، والبذلِ والعطاءِ، ومن ذلك كرمُ سعدِ بنِ الربيعِ مع عبد الرحمن بنِ عوفٍ عند الهجرة، وكرمُ الصديق أبي بكر مع العبيد وعتقِهم، ومع المسلمين عمومًا، ومع النبيِّ ﷺ خصوصًا.

ولذلك كان البخلُ هو أدوأَ داءٍ، من الأمراض الفتاكة التي استعاذ منها النبيُّ ﷺ؛ حيث قال: «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ، وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالبُخْلِ وَالجُبْنِ**»[(١)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٩٣).

وسأل النبيُّ ﷺ بني سَلِمَةَ فقال: «مَنْ سَيِّدُكُمْ يَا بَنِي سَلِمَةَ؟».

قالوا: سيِّدُنا الجَدُّ بنُ قيسٍ، على أنَّا نُبخِّلُه!

فقال: «وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَى مِنَ الْبُخْلِ؟ بَلْ سَيِّدُكُمْ عَمْرُو بْنُ الجَمُوحِ»(١).

فالبخلُ والشُّحُّ يحمِلان الإنسانَ على قطيعةِ الرحمِ، وسفكِ الدم، ومساوئ الأخلاق، وأما الكرمُ فإنه يطمِسُ في الإنسانِ كلَّ عيبٍ، ولذلك يجِبُ على طالبِ العلمِ أن يكونَ موسومًا بالكرمِ بريئًا من البخل؛ ليكون قدوةً صالحةً في نفسه ولغيره.

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٢٧).

ثالث عشر: النُّبْل:

مما يجبُ أن يتحلى به طالبُ العلم خصوصًا- والمسلمون عمومًا- صفةُ النُّبْل، والنُّبلُ هو الذكاءُ، والنجابةُ، والفضيلة، والعقل الرشيد السَّديد، والرفقُ في إصلاح الأمورِ، والكرم، وسخاءُ الطبع والقلب والنفسِ؛ ولذا قيل: إن النبلَ مجمَعُ الفضائلِ الخُلُقيةِ، والجسميةِ والاجتماعية.

وقيل لمعاويةَ بنِ أبي سفيان: ما النبلُ؟

قال: الحِلمُ عند الغضب، والعفوُ عند المقدرة.

ولذلك المتكبرُ، والبخيلُ، ودنيءُ النفس، والظالمُ، والعجول، وسيء الخلُقِ لا يكون نبيلًا.

والنبلُ الحقيقيُّ هو خشيةُ اللهِ بالغيبِ والشهادةِ، وإخلاصِ الأعمالِ لله وحدَه، وقد كان النبيُّ ﷺ نبيلًا بعظيمِ تواضُعِه، وكرمِه، ورشدِه، وحِكمته، وعلمِه، وعملِه، وإخلاصِه، ورحمِته بجميع الخلق، ورجولِته، وشهامته،ومروءتِه، وحفظِه للسانه وجوارحه.

وإذا لم يكن طلاب العلم الشرعي نبلاءَ فمَن يكون نبيلًا؟!

رابع عشر: الرفق:

الرِّفقُ ضدُّ العنف، وهو لِينُ الجانبِ بالقولِ والفعلِ، والأخذُ بالأسهل، والرفقُ يأتي معه من الأمور ما لا يأتي مع ضده[(١)].

قال النبيُّ ﷺ: «**مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الخَيْرِ، وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الخَيْرِ**»[(٢)].

وقال: «**مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ، يُحْرَمِ الخَيْرَ**»[(٣)]؛ يعني: يُحرَم كلَّ الخيرِ الناشئ والناتج عن الرفق[(٤)].

والرفقُ يدخُلُ في كلِّ شيءٍ ومن ذلك:

أ-الرفقُ في طلب العلمِ، وأخذِ الدينِ، وتربيةِ النفس، يقولُ النبي ﷺ: «**إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ**»[(٥)].

---

(١) فتح الباري (١٠/ ٤٤٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٠١٣)، وأحمد (٢٦٢٥٩)، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٩٢).

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي (١٦/ ١٤٥).

(٥) أخرجه أحمد (١٣٠٥٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٢٤٦).

ومعنى: «فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ»؛ أي: سِرْ فيه برفقٍ، وابْلُغِ الغايةَ القصوى فيه[١].

فالطالبُ يحتاجُ لِحكمةٍ في التعلُّم، والفهمِ، والعملِ على منهاجِ النبوة، بجِدٍّ واجتهاد في التحصيلِ، وملازمةِ أهل العلم الثقاتِ الأثباتِ من أهلِ السنة، وبغير أن تُحمِّلَ نفسَك ما لا تطيق، كما أمر النبيُّ عبدَ الله بن عمرو بن العاص وأرشَدَه في عبادتِه؛ في قراءةِ القرآنِ، والقيام، والصيام.

ولذا قال النبيُّ ﷺ: «عَلَيْكُمْ هَدْيًا قَاصِدًا- ثلاثَ مراتٍ- فَإِنَّهُ مَنْ يُشَادَّ الدِّينَ يَغْلِبْهُ»[٢]؛ والهديُ القاصدُ هو الطريقُ المعتدلُ الذي لا غلوَّ فيه ولا تقصيرَ.

فحينما جاء ثلاثةٌ من الشباب يسألون عن عبادة النبيِّ ﷺ فسألوا أهلَ بيته، فكأنما تقالُّوها، فقال أحدُهم: أنا أقومُ الليلَ ولا أنامُ، وقال الآخَرُ: أنا أصومُ ولا أفطِرْ، وقال الثالثُ: أنا لا أتزوَّج النساءَ.

---

(١) فيض القدير (٤/ ٣٥٣).

(٢) أخرجه أحمد (١٩٧٨٦).

فلما عِلمَ النبيُّ ﷺ أنكر عليهم هذا التشدُّدَ والمشقةَ على النفسِ، وقال: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ للهِ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»(١).

فنلتزم بالسنةِ كما فعل النبيُّ ﷺ والصحابةُ؛ لأن الإنسانَ إذا لم يأخذْ نفْسَه بالرفقِ، فإنه سيملُّ من العبادةِ والعلمِ؛ ولذلك قال النبيُّ ﷺ: «اكْلَفُوا مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا».

وقالت عائشةُ: وكان أحبُّ الأعمالِ إلى رسولِ اللهِ ﷺ أَدْوَمَهَا، وَإِنْ قَلَّ(٢).

فالإسلامُ لا يعرف الحماسَ المبنيَّ على الاندفاعيةِ.

ب-الرفقُ في التعاملِ مع الناسِ من الإخوةِ، والأصدقاء، والأقران، ونحوِهم، قال تعالى: {وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾} [الحجر:٨٨]؛ أي: كُنْ هيِّنًا ليِّنًا رفيقًا متواضعًا.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).
(٢) أخرجه البخاري (٦٤٦٥).

جـ -الرِّفقُ في الدعوةِ إلى اللهِ، في الأمر بالمعروفِ والنهي عن المنكر، قال الله تعالى للنبي ﷺ: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ ﴿١٥٩﴾} [آل عمران:١٥٩]

وقال تعالى لموسى وهارونَ عليهما السلام حينما أرسلهما لدعوة فرعون: {ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾} [طه:٤٣-٤٤].

وقد ضرَبَ النبيُّ ﷺ أروعَ المُثُلِ في ذلك، فحياتُه كلُّها رفقٌ في الدعوةِ إلى الله، ومِن ذلك رفقُه ﷺ بالأعرابيِّ الذي بال في ناحيةِ المسجد، ورفقُه بالشابِّ الذي جاء يريد إباحةَ الزنا، وغيرُ ذلك، فكانت حياتُه ﷺ كلُّها رفقًا، سواءٌ في الأمر، أو النهي، أو الإنكارِ، أو التعليم.

عن مالك بن الحُوَيرثِ رضي الله عنه قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ في نفرٍ من قومي، فأقمنا عنده عشرين ليلةً، وكان رحيمًا رفيقًا، فلما رأى

شوقَنا إلى أهالينا، قال: «**ارْجِعُوا فَكُونُوا فِيهِمْ، وَعَلِّمُوهُمْ، وَصَلُّوا، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ**»(١).

عن معاويةَ بنِ الحكم السُّلَمي، قال: صلَّيتُ مع رسول الله ﷺ، فعطَسَ رجلٌ من القوم فقلتُ: يرحَمُك الله، فرماني القومُ بأبصارهم، فقلتُ: واثُكْلَ أُمِّياه! ما شأنُكم تنظرون إليَّ؟! قال: فجعلوا يضرِبون بأيديهم على أفخاذِهم، فعرَفتُ أنهم يُصَمِّتوني، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللهِ، مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي، وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ: «**إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ، وَالتَّكْبِيرُ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ**». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ، وَقَدْ جَاءَ اللهُ بِالْإِسْلَامِ، وَإِنَّ مِنَّا رِجَالًا يَأْتُونَ الْكُهَّانَ، قَالَ: «**فَلَا تَأْتِهِمْ**». قَالَ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ، قَالَ: «**ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ، فَلَا يَصُدَّنَّهُمْ**». قَالَ ابْنُ الصَّبَّاحِ: «**فَلَا يَصُدَّنَّكُمْ**» قَالَ: قُلْتُ: وَمِنَّا رِجَالٌ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٨).

يَخُطُّون، قَالَ: «كَانَ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ يَخُطُّ، فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَاكَ».

قَالَ: وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالجَوَّانِيَّةِ، فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ، لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا أُعْتِقُهَا؟ قَالَ: «ائْتِنِي بِهَا». فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ لَهَا: «أَيْنَ اللهُ؟». قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «مَنْ أَنَا؟». قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»(١).

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه، قال: بعثَ رسولُ الله ﷺ خيلًا قِبَلَ نجدٍ، فجاءت برجلٍ من بني حنيفةَ يُقال له: ثُمامةُ بنُ أُثالٍ، سيِّدُ أهلِ اليمامةِ، فربطوه بساريةٍ من سواري المسجدِ، فخرج إليه رسولُ الله ﷺ قال: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ»؟ قال: عندي يا محمدُ خيرٌ... فذكر الحديثَ، قال: «أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (٥٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٢)، ومسلم (١٧٦٤).

د-الرِّفقُ في الإمامةِ بالناس:

قال النبيُّ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ أَمَّ النَّاسَ، فَلْيُوجِزْ؛ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِ الكَبِيرَ، وَالضَّعِيفَ، وَذَا الحَاجَةِ»(١).

هـ-الرفقُ بالزوجةِ والأولاد، قال النبي ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا، أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرِّفْقَ»(٢).

فيرفُقُ الزوجُ بزوجتِه وأولاده، وترفُقُ الزوجةُ بزوجِها وأبنائها، والأولادُ بعضُهم ببعض، وأهل البيت بجيرانهم، وهكذا.

و-بل الرفقُ بالحيوانِ والطيرِ، فقد رأى النبيُّ ﷺ جملًا شاردًا، فلما رأى النبيَّ ﷺ حنَّ إليه، وزرفت عيناه، فمسح النبيُّ ﷺ على سَنامه، وقال: مَنْ رَبُّ هَذَا الجَمَلِ؟ فجاء فتى من الأنصار وقال: أنا يا رسولَ الله. فقال: «أَلا تَتَّقِي اللهَ فِي هَذِهِ البَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللهُ إِيَّاهَا، فَإِنَّهُ شَكَاكَ إِلَيَّ وَزَعَمَ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٥٩)، ومسلم (٤٦٦).

(٢) أخرجه أحمد (٢٤٤٢٧) وحسنه الأرناؤوط.

(٣) أخرجه أحمد (١٧٥٤) وحسنه الأرناؤوط.

ونهى عن تعذيبِ الحيوانِ، ولعن من اتخذ شيئًا فيه الروحُ غرَضًا يُرمَى[(١)].

ص- **الرفقُ مع الرعيةِ، ومَن تحت يدك**: قال النبي ﷺ: «**اللهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ**»[(٢)].

وطالبُ العلمِ إن لم يكن رفيقًا بنفسِه وبغيرِه سيكونُ ضررُه أكثرَ من نفعِه.

---

(١) أخرجه مسلم (٥٨).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٢٨).

خامس عشر: توقيرُ الكبيرِ والعطفُ على الصغيرِ:

مما يجبُ على طالبِ العلمِ أن يتحلَّى به، ومما يدُلُّ على حسنِ أخلاقِه؛ احترامُه وتوقيرُه للأكابر، سواءٌ كانوا كبارَ السنِّ، أو كبارَ القدرِ، وسواءٌ كانوا من الأقاربِ أم لا؛ لقول النبيِّ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ**»[١].

فاشتمل هذا الحديثُ على توقيرِ واحترام كبار السن، وكبارِ القدرِ من أهلِ القرآنِ، وولاةِ الأمورِ؛ فكبيرُ السنِّ يُحترَمُ لشيخوختِه في الإسلام، فقد قال النبيُّ ﷺ: «**مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي سَبِيلِ اللهِ، كَانَتْ نُورًا لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**»[٢]، فيُحترَمُ لدينِه، وضعفِه، وكبره، وخبرته في الحياة.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٤٣).

(٢) أخرجه أحمد(٢٣٩٥٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال النبي ﷺ: «**البَرَكَةُ مَعَ أَكَابِرِكُمْ**»(١). سواء كانوا كبارَ السِّن، أو كبارَ القدرِ.

وكذلك كبارُ القَدْرِ يُحتَرَمون ويُوقَّرون لقدرِهم؛ كالوالدينِ اللذينِ هما أصحابُ الفضلِ على الولدِ بعد اللهِ تعالى، وهما أصلُ وجودِه في الحياة، فلهما البِرُّ والإحسانُ، والطاعةُ في غيرِ معصيةٍ.

وكذلك العلماءُ الرَّبَّانيُّون، وطلابُ العلمِ المخلصون، والمعلمون في جميع العلوم النافعة، فلهم جزيلُ التقديرِ، والتوقير، والاحترام لعلمِهم، وعظيمِ فضلهم على الناس، قال النبيُّ ﷺ: «**فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ**»(٢).

وكذلك الحُكَّامُ، والأمراءُ، والقضاةُ، ورجالُ الجيشِ والشرطةِ لهم جزيلُ التقديرِ والاحترام والتوقير؛ لأن اللهَ تعالى جعَلَهم فضلًا منه قادةً للناس، فاللهُ تعالى يدفَعُ بهم ظلمَ الناسِ بعضِهم عن بعضٍ، ويقامُ بهم نظامُ الدولةِ وأمنُها، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢١٠).

(٢) سبق تخريجه.

ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾} [البقرة:٢٥١]؛ أي: لولا دفعُ اللهِ ظلمَ الظالمِ عن المظلوم بولاة الأمور؛ لفسدت الأرضُ؛ ولكن الله ذو فضلٍ على العالمين بتوليةِ الأمراءِ والحكامِ على الناس.

وكذلك مما يجِبُ على طالب العلمِ أن يتحلى به رحمتُه بالصغيرِ، وعطفُه عليه ورفقُه به، قال النبي ﷺ: «لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ»(١).

ولما جاء الأَعْرَابِيُّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أتُقَبِّلون صبيانَكم؟! فوالله ما نُقَبِّلُهُمْ! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللهُ مِنْ قَلْبِكَ الرحمة؟!»(٢).

ولما قال له الأقرعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ:«مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ»(١).

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٨٠٧).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٩٨)، ومسلم (٢٣١٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهذا من حُسنِ الخُلُقِ، والرفقِ، والرحمةِ التي يجِبُ أن يتحلَّى بها المسلم عمومًا، وطالبُ العلم خصوصًا.

سادس عشر: برُّ الوالدينِ:

مما يجبُ على المسلم عمومًا- وطلبةِ العلم خصوصًا- برُّ الوالدين، والإحسانُ إليهما، قال الله تعالى: {۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾} [الإسراء:٢٣-٢٤].

والبارُّ بوالديه من أسعدِ خلقِ الله تعالى في الدنيا والآخرة، والعاقُّ لوالديه من أشقى خلقِ الله في الدنيا والآخرة، قال اللهُ تعالى عن يحيى عليه السلام: {وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾} [مريم:١٤]؛ لأنَّ العاقَّ جبارٌ عصيٌّ.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٩٧)، ومسلم (٢٣١٨).

وقال عن عيسى بنِ مَريَمَ: {وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ۝٣٢} [مريم:٣٢]؛ لأن العاقَّ جبارٌ شقيٌّ.

وإذا لم يكن حاملُ القرآنِ والسُّنةِ، وطالبُ العلمِ النافعِ، والعملِ الصالح برًّا تقيًّا، فمن يكون إذًا؟!

قال النبيُّ ﷺ: «رِضَى الرَّبِّ فِي رِضَى الوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الوَالِدِ»(١).

سابع عشر: صلةُ الرَّحِم:

صلةُ الرَّحِمِ فرضٌ واجبٌ على جميعِ المسلمين، وهي في حقِّ طلابِ العلمِ وأهلِه أوكدُ، فيجِبُ على طالبِ العلمِ أن يكون وصولًا للرَّحِمِ، معلِّمًا لهم ما علَّمَه اللهُ إياه، قال الله تعالى: {وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ} [الأحزاب:٦].

وقال تعالى: {وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ۝٢١٤} [الشعراء:٢١٤]، وصلةُ الرَّحِمِ من أعظم أسباب البركةِ في العلمِ، والرِّزق، والعمر، وحسن

(١) أخرجه الترمذي (١٨٩٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الخلْقِ، قال النبيُّ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»(١).

وإذا لم يكُنْ طالبُ العلم وصولًا للرحم فمَن يكون؟!

قال النبيُّ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ»(٢).

وقال عز وجل للرحِم: «أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَذَاكِ لَكِ» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ [محمد:٢٢-٢٣](٣)، فقاطعُ الرَّحِمِ ملعونٌ؛ أي: مطرودٌ من رحمة الله تعالى.

(١) أخرجه البخاري (٥٩٨٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٥٦).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٥٤).

ثامن عشر: حُسْنُ الجوار:

حسنُ الجوارِ دليلٌ على حسنِ الخلُقِ، وكمالِ الإيمانِ، ويجِبُ على كلِّ مسلمٍ عمومًا، وعلى طالبِ العلم خصوصًا أن يكونَ حسَنَ الخُلقِ مع جيرانِه.

قال رجلٌ يا رسول الله: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُ به دخلتُ الجنةَ. قَالَ: «**كُنْ مُحْسِنًا**». قَالَ: كَيْفَ أَعْلَمُ أَنِّي مُحْسِنٌ؟ قَالَ: «**سَلْ جِيرَانَكَ، فَإِنْ قَالُوا: إِنَّكَ مُحْسِنٌ. فَأَنْتَ مُحْسِنٌ، وَإِنَّ قَالُوا: إِنَّكَ مُسِيءٌ. فَأَنْتَ مُسِيءٌ**»(١).

فشهادةُ الجارِ على الإنسانِ بالخيرِ دليلٌ على إحسانه، وشهادتُهم عليه بالسوء دليلُ إساءتِه؛ لأن الجارَ أعلمُ الناسِ بجارِه.

وطالبُ العلم قدوةٌ للناس في الخير والشرِّ، فلْيَحرِصْ على ألَّا يُؤتَى الإسلامُ من قِبَلِه بسوءِ خلُقِه، وسوءِ جوارِه، قال النبيُّ ﷺ: «**مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**»(٢).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (١٤٠٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١٤)، ومسلم (٢٦٢٥).

وقال ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ»[١]، وقال ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ»[٢].

وقال ﷺ: «يَا نِسَاءَ المُسْلِمَاتِ، لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ»[٣]؛ وفي هذا حثٌّ على الإهداء للجارِ ولو بالشيءِ القليل؛ خاصةً بينَ النساء؛ لأنهنَّ موارد المودةِ، وإصلاحِ ذات البينِ.

وإذا لم يكنْ أهلُ القرآنِ والسنةِ هم أحسنَ الناسِ جِوارًا لجيرانِهم فمن يكونُ؟!

(١) أخرجه مسلم (٤٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١٨).

(٣) أخرجه البخاري (٢٥٦٦)، ومسلم (١٠٣٠).

تاسع عشر: العشرةُ بين الزوجينِ بالمعروف:

فمما يجبُ أن يتحلَّى به طالبُ العلم خصوصًا، والمسلمُ عمومًا أن يكونَ حَسَنَ العِشْرةِ مع زوجِه، فهذا من أعظمِ الأدلةِ على كمالِ الإيمانِ، وحسنِ الخُلُقِ؛ لقول النبي ﷺ: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ**»(١).

ولا يكونُ طالبُ العلم أو العالم قدوةً للناس وإمامًا لهم إلا إذا كان قدوةً صالحةً في بيتِه، وقد أثَّرَ فيهم بحسنِ عشرتِه، وخلُقِه وتديُّنِه، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۝٧٤﴾ [الفرقان: ٧٤].

فإنه لا يكونُ للمتقين إمامًا إلا إذا كان زوجُه وولدُه قُرَّةَ عينٍ له بإيمانِهم وعملِهم الصالح، وذلك بعد أن يحسِنَ تربيتَه لهم، وتوجيهَهم؛ ولذلك قال النبيُّ ﷺ موصيًا الرجالَ بنسائهم خيرًا: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**»(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٩٧٧).

وقال ﷺ: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خيرًا، فَإِنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ أعوج، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ»(١).

وكذا أمرَ ﷺ المرأةَ بطاعةِ زوجِها، وحسنِ عشرته فقال: «لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ غير الله لَأَمَرْتُ المَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا؛ مِنْ عِظَمِ حَقِّهِ عَلَيْهَا»(٢).

وقال ﷺ مبيِّنًا المرأةَ الصالحة: «هي التي إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ، وَإِذَا أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ، وَإِذَا غَابَ عَنْهَا حفظته»(٣).

فعلى طلابِ العلم رجالًا ونساءً، صغارًا وكبارًا أن يهتدوا بهدي اللهِ ورسولِه؛ ليكونوا قدوةً حسنةً لأنفسهم وغيرهم.

(١) أخرجه البخاري (٣٣٣١)، ومسلم (١٤٦٨).
(٢) أخرجه أحمد (١٩٤٠٣).
(٣) أخرجه أبو داود (١٦٦٤).

عشرون: الشكر:

شكرانُ النِّعَمِ فريضةٌ إلهيةٌ، وسنةٌ نبويةٌ، وشيمةُ الكرماءِ، الأتقياء، الأوفياء المخلصين، فالشاكِرُ للهِ على نعَمِه، وللناسِ على إحسانِهم دليلٌ على كمالِ إيمانِه، وحسنِ أخلاقِه، وأنَّ مِثلَه أهلٌ لأن يعلِّمَه اللهُ، ويوفِّقَه لرضاه، قال اللهُ تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ۝١٥٢﴾ [البقرة:١٥٢]، وقال: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ۝٧﴾ [إبراهيم:٧]، وقال: ﴿وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝١٤٤﴾ [آل عمران:١٤٤].

فطالبُ العلم يجبُ عليه شكرُ اللهِ على نعَمِه الظاهرةِ والباطنةِ، بتقوى اللهِ في النِّعم، والقيامِ بحقِّ اللهِ فيها، قال تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ۝١٣﴾ [سبأ:١٣]. فالشكرُ يكونُ بالعمل والجوارحِ، كما يكونُ بالقلبِ واللسانِ، وكذلك يجِبُ على طالبِ العلمِ أن يكونَ غاليَ المَعدِنِ ذا أصل طيِّبٍ، أن يكونَ وعاءً صالحًا لحملِ القرآن والسُّنةِ اللذين هما النورُ المبينُ، وحجةُ ربِّ العالمين، ولا يكونُ كذلك إلا إذا كان شاكرًا لمن أحسَنَ إليه،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعلَّمَه، وربَّاه، وكان سببًا له في الخيرِ، وإلا كان خسيسًا أحطَّ من الكلابِ، فقد علمَنا رسولُ الله ﷺ أن نحفَظَ الجميلَ، وأن نصونَ الحُرمةَ لمَن أحسَنَ إلينا، وأن نشكُرَه بألسنتِنا، وأعمالنا، فقال ﷺ: «**لَا يَشْكُرُ اللهَ مَن لَّا يَشْكُرُ النَّاسَ**»(١)، وقال ﷺ: «**مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ**»(٢).

فطالبُ العلمِ الشاكرُ ذو الأصل الطيِّبِ والمعدِنِ الغالي يحفَظُ حرمةَ شيوخِه ومُعلِّمِيه، يدعو لهم بالخيرِ والجميلِ، ويُثني عليهم، ويبيِّنُ فضلَهم، وحقَّهم، ويترحَّمُ ويترضَّى عليهم دومًا.

أما طالبُ العلمِ الخسيسُ، ذو الأصل الرديء، الكافرُ بالنعمِ، فإنه ينكِرُ الجميلَ، ولا يحفَظُ قدرَ مَن علَّمه؛ بل يطعَنُ في شيوخِه ومعلِّميه؛ ليُعلِيَ من قدرِ نفسِه هو؛ وذلك لأنَّه مريضُ القلبِ، خسيسُ النفسِ، سيِّئُ النيةِ، فانطبَقَ عليه المَثلُ الشائعِ: «اتَّقِ شرَّ مَنْ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨١١).

(٢) أخرجه أبو داود (١٦٧٢).

أحسَنتَ إليه»، والمثَلُ الآخَرُ الذي يقول: «ازرع الزرع تقلعه»؛ أي: تحصُدُه ويعودُ عليك بالنفع، و«ازرع أسود الرأس يقلعك»؛ أي: ازرع الخيرَ في الإنسان الخسيسِ ؛ يخلعك ويُسقِطك، ويطعن فيك، ليعليَ من قدرِ نفسِه.

وقد كتبَ الإمامُ محمدُ بنُ خلفِ بنِ بسام (ت ٣٠٩هـ) كتاب «فضلُ الكلاب على كثيرٍ ممَّنْ لَبِسَ الثِّياب»، وذكر فيه بعضَ القصصَ التي تبيِّنُ مدى وفاءِ الكلبِ لمن عاش معه، وأحسن إليه يومًا، وأنَّ الكلبَ لا يعَضُّ اليدَ التي امتدَّت إليه بالخير يومًا ما، فالوفاءُ صفتُه مع مَن أحسنَ إليه، وأطعَمَه، أو سقاه؛ ولكن كثيرًا من الناسِ يكفُرون النِّعَمَ، ويَجحَدون الفضلَ، ينكِرون الجميلَ، ويعَضُّون اليدَ التي امتدَّت إليهم بالخير والجميل، وهم أكثرُ الناسِ؛ لأن الله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ:١٣]، ويقولُ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾﴾ [العاديات:٦]؛ أي: جَحودٌ لنعمِ ربِّه عليه، فحينما يجحَدُ نعمةَ المخلوقِ وفضَله عليه، فليس ذلك عليه بغريب.

ولذلك يا طالبَ العلمِ، إن وجدت نفسَكَ مخلصًا تقيًّا، شاكرًا لنعَمِ اللهِ عليك، شاكرًا لمن أحسنَ إليك من خلقِ اللهِ، وفيًّا، حاملًا للجميلِ صائنًا للحرمةِ، متواضعًا، موقِّرًا لأهلِ العلمِ من أهل السنة؛ فاعلم أنك على خيرٍ عظيمٍ، وأن اللهَ سيوفِّقُك ويتمُّ عليك نعَمَه، وإن وجدت نفسَك متمرِّدًا، متكبِّرًا، مغرورًا متعالمًا، ناكرًا للجميلِ، غيرَ حافظٍ لحرمةِ مَن علَّمك وآواك، عاضًّا لليدِ التي امتدَّت إليك بالخيرِ والجميلِ؛ فاعلم أنَّك من سِفْلَةِ الناسِ، وأنك خسيسُ الطبعِ، مريضُ القلبِ لا تساوي شيئًا بينَ العلمِ والعلماءِ، ومثلُك جديرٌ بالحرمانِ من الخيرِ، وإزاغةِ القلبِ إلى البدعةِ والضلالةِ، والركونِ إلى الدنيا وأهلِها، وتكونُ حينها أخسَّ من الكلاب.

قال الله تعالى: {سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾} [الأعراف:١٤٦].

وقال تعالى: {وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾} [الأعراف:١٧٥-١٧٦].

*ولذلك ينبغي على العلماء ومعلمي العلم أن يختاروا طلابًا من أصلٍ طيبٍ ليكونوا وعاءً للعلم الطيب، وقال العلماء قديمًا: لا تعلِّموا أولادَ السِّفْلَةِ العلمَ.

وذلك لأن الناسَ معادنُ كمعادنِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ.

وضرب النبيُّ ﷺ أروعَ المثلِ في شُكرانِ النعَمِ، وحملِ جميلِ من أحسنَ إليه، وصيانةِ حرمتِهِ؛ ولو كان كافرًا، ومن ذلك على سبيل المثال:

١-**شكرانُه لفضلِ زوجِه خديجة** رضي الله عنها: فكان دومًا يُثني عليها، ويذكُرُها بالخيرِ، ويدعو لها بالجميلِ؛ بل ويحسِنُ لأقاربِها وأصحابِها؛ إحسانًا إليها بعد موتها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قالت عائشةُ رضي الله عنها: ما غِرتُ من امرأةٍ ما غِرتُ من خديجةَ، ولقد هلَكتْ قبل أن يتزوَّجني بثلاثِ سنين؛ لِما كنتُ أسمَعُه يذكرُها، ولقد أمَرَه ربُّه أن يبشِّرَها ببيتٍ في الجنَّةِ من قصَبٍ، وإن كان ليذبَحُ الشاةَ، ثم يُهدي في خلائلها منها ما يسعُهنَّ[1]؛ أي: كثيرًا ما يذكُرُها بالخير، ويُهدي لصاحباتها من الشاةِ؛ إكرامًا لها، ووفاءً لها، وصيانةً لحُرمتِها، وردًّا لجميلها؛ وإن كانت ميتةً.

وقالت عائشةُ رضي الله عنها: جاءت عجوزٌ إلى النبيِّ ﷺ، وهو عندي، فقال لها رسولُ الله ﷺ: «مَن أنتِ؟». قالت: أنا جثَّامةُ المُزنيةَ: فَقَالَ: «**بَلْ أَنْتِ حَسَّانَةُ الْمُزَنِيَّةُ، كَيْفَ أَنْتُمْ؟ كَيْفَ حَالُكُمْ؟ كَيْفَ كُنْتُمْ بَعْدَنَا؟**». قالت: بخيرٍ، بأبي أنتَ وأمي يا رسول الله. فلما خرَجتْ قلتُ: يا رسولَ اللهِ، تُقبِلُ على هذه العجوزِ هذا الإقبالَ؟! فقال: «**يا عائشةُ، إنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا زَمَنَ خَدِيجَةَ، وَإِنَّ حُسْنَ العَهْدِ مِنَ الإِيمَانِ**»[2].

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤).
(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤٠).

٢-**حفظُه ﷺ لجميلِ وفضلِ عمِّه أبي طالبٍ** الذي كفَلَه، وربَّاه ورعاه، وكان يحوطُه وينصُرُه، مع أنه كان مشركًا، ومات على الشركِ، ويتضِحُ ذلك مما يلي:

أ-دعوةُ النبيِّ ﷺ له طيلةَ حياتِه إلى مرضِ موته، والنبي ﷺ يقولُ له: «**يَا عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ**»(١)، حتى مات أبو طالبٍ على الكفرِ قائلًا: بل على مِلَّةِ عبد المطلبِ.

ب-استغفارُ النبي ﷺ له بعد موتِه، وحزنُه عليه، حتى نهاه اللهُ عن ذلك وقال: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾} [التوبة:١١٣].

جـ -شفاعتُه ﷺ فيه عند ربِّه، حتى صار أهونَ أهلِ النارِ عذابًا يومَ القيامةِ، قال العباسُ بنُ عبدِ المطَّلِب عمُّ النبيِّ ﷺ: يا رسول الله، إن أبا طالبٍ كان يحوطُك، ويغضَبُ لك، أمَا نفَعتَه بشيءٍ؟

(١) أخرجه البخاري (٣٨١٦)، ومسلم (٢٤٣٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقال: «نَعَمْ، هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ»(١).

٣- حفظُه ﷺ لجميلِ المُطعِمِ بن عَدِيٍّ المشركِ، حينما أدخل النبيَّ ﷺ في جوارِه عندما رجع من الطائفِ بعد أن كذبَّه أهلُها، وأخرجوه منها، فلما كانت غزوةُ بدرٍ، وأسَرَ النبيُّ ﷺ سبعين من كفارِ قريشٍ، قال: «لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا فَكَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتْنَى أَطْلَقْتُهُمْ»(٢)؛ وذلك ردًّا لجميلِه، وحفظًا لفضلِه.

د- حفظُه ﷺ لجميلِ رأسِ المنافقين عبدِ اللهِ بنِ سَلولَ مع عمِّه العباس، حينما أُسِرَ في غزوةِ بدرٍ، وقد وقع عنه رداؤُه، فألبَسَه ابنُ سلولَ عباءتَه؛ لِما كان بينهما من الصداقةِ في الجاهليةِ، فحمل النبيُّ ﷺ ذلك جميلًا، وقام بردِّه يومَ مات ابنُ سلولٍ، وخلع النبيُّ ﷺ عباءتَه، وكفَّن بها ابنَ سَلولَ، وأدخلَه بها قبرَه(٣).

(١) أخرجه البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩).
(٢) أخرجه البخاري (٣١٣٩).
(٣) أخرجه مسلم (٢٤٠٠).

هـ- حفظُه ﷺ لجميلِ أصحابِه الذين آوَوْه، ونصروه، وجاهدوا بأموالهم وأنفسِهم في سبيلِ الله الذين قال اللهُ فيهم: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [التوبة:١٠٠]، فقال ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ»(١).

وعدمُ حفظِ الجميل وشكرِه جحودٌ لنِعَمِ الله وفضلِه، وقد عدَّ النبيُّ ﷺ جحودَ المرأةِ لفضل زوجها كفرًا، حيث قال: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الِاسْتِغْفَارَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ». فقالت امرأةٌ منهن: ولِمَ يا رسول الله؟ قال: «لِأَنَّكُنَّ تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ»(٢).

وفي روايةٍ: قال النبيُّ ﷺ: «وَرَأَيْتُ النَّارَ، فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ مَنْظَرًا قَطُّ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ». قَالُوا: لِمَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «بِكُفْرِهِنَّ». قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللهِ؟! قَالَ: «يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٧٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الإِحْسَانَ، لَوِ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ»(١).

وقال النبيُّ ﷺ للنساءِ وهن قعودٌ في المسجد: «إِيَّاكُنَّ وَكُفْرَانَ الْمُنْعَمِينَ، إِيَّاكُنَّ وَكُفْرَانَ الْمُنْعَمِينَ». قالت إحداهن: نعوذُ باللهِ يا نبيَّ اللهِ من كفرانِ نِعَمِ الله. قال: «بَلَى، إِنَّ إِحْدَاكُنَّ تَطُولُ أَيْمَتُهَا- أي: تعيشُ زمنًا بغيرِ زوجٍ، ثم يرزقُها الله بالزوج بعد سؤالِ اللهِ والإلحاح عليه- ثُمَّ تَغْضَبُ الغَضْبَةَ، فَتَقُولُ: وَاللهِ مَا رَأَيْتُ مِنْهُ سَاعَةً خَيْرًا قَطُّ، فَذَلِكَ كُفْرَانُ نِعَمِ اللهِ، وَذَلِكَ كُفْرَانُ نِعَمِ الْمُنْعَمِينَ»(٢).

وفي روايةٍ: «لَعَلَّ إِحْدَاكُنَّ أَنْ تَطُولَ أَيْمَتُهَا بَيْنَ أَبَوَيْهَا وَتَعْنِسَ، فَيَرْزُقَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ زَوْجًا وَيَرْزُقَهَا مِنْهُ مَالاً وَوَلَدًا، فَتَغْضَبَ الغَضْبَةَ فَتَقُولَ: مَا رَأَيْتُ مِنْهُ يَوْمًا خَيْرًا قَطُّ»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩)، ومسلم (٩٠٧).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٨٠٤).

(٣) أخرجه أحمد (٢٨٢٣٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الحادي والعشرون: السمعُ والطاعةُ لولاة الأمورِ في غير معصيةٍ:

ولاةُ الأمورِ- كما سبق أن ذكرنا- فضلٌ من الله على الناس لقوله تعالى: {وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾} [البقرة:٢٥١].

ولذلك قال أهلُ العلمِ: لولا السلطانُ لصار الناسُ فوضى، ولأكَلَ بعضُهم بعضًا.

و قال النبيُّ ﷺ: «مَنْ أَكْرَمَ سُلْطَانَ اللهِ فِي الدُّنْيَا، أَكْرَمَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَنْ أَهَانَ سُلْطَانَ اللهِ فِي الدُّنْيَا، أَهَانَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»(١).

وقد أمرَنا ﷺ بطاعةِ الأمراءِ و الحكام في غير معصيةِ الله تعالى فقال: «عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ»(٢).

ونهى عن الخروج عليهم إن ظلموا وجاروا، وأمَرَنا بالصبرِ على ظلمهم؛ لأن الصبرَ على ظلمهم أهونُ من فتنةِ الخروجِ،

---

(١) أخرجه أحمد (٢٠٤٣٢).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٣٩).

www.alukah.net

والثوراتِ والمظاهراتِ، وإثارةِ الفتَنِ عليهم، فقال ﷺ: «مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا، فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا، فَمَاتَ عَلَيْهِ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»(١).

وقال ﷺ: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللهَ يَوْمَ القِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»(٢).

وأمَرَ بمناصحتِهم والتأدُّبِ معهم في النصح لمن استطاع ذلك، وكان يمكنُه الوصولُ إليهم فقال ﷺ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِذِي سُلْطَانٍ فَلَا يُبْدِهِ عَلَانِيَةً، وَلَكِنْ يَأْخُذُ بِيَدِهِ فَيَخْلُوا بِهِ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَاكَ، وَإِلَّا كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ»(٣).

أمَّا الدعوةُ إلى تهييجِ الناسِ على الحكامِ، والثورةِ عليهم فهي من منهجِ الخوارجِ، الذين وصفهم النبيُّ ﷺ بأنهم شرُّ الخلقِ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٣)، ومسلم (١٨٤٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥١).

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب السنة (١٠٩٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والخليقةِ، وأنهم كلابُ النارِ، أما طلبةُ العلمِ على منهجِ النبوةِ، على نهج أهل السنة والجماعةِ؛ فإنهم يلتزمون ما أمَرَهم به نبيُّهم ﷺ.

الثاني والعشرون: ألا يكونَ حاسدًا ولا عائنًا:

الحسدُ صفةٌ مذمومةٌ، لا يجوز أن يتصِفَ بها مسلمٌ؛ فضلًا عن كونه طالبَ علم.

والحسدُ هو تمنِّي زوالِ النعمةِ عن المحسود، وكراهةُ الخير له، والحاسدُ ناقمٌ على اللهِ تعالى وغير راضٍ بنعمته؛ لأن الذي يقسِّمُ الأرزاقَ، ويُفضِّلُ العبادَ بعضَهم على بعضٍ هو اللهُ وحده، ولذلك نهى اللهُ ورسولُه عن الحسدِ فقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء:٥٤].

وقال النبي ﷺ: «**لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا...**»[(١)].

وقد أمر الله تعالى بالاستعاذةِ به من شرِّ الحاسد إذا حسد، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ

(١) أخرجه البخاري (٦٠٦٤)، ومسلم (٢٥٥٨).

﴿٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ٥﴾ [الفلق: ١-٥].

والحاسدُ قرينُ الشيطانِ، وشبيهٌ باليهودِ والمشركين في هذه الصفة، والحسدُ يأكُلُ الحسناتِ كما تأكُلُ النارُ الحطبَ، والحسدُ خصلةٌ ذميمةٌ تحمِلُ صاحبَها على فعلِ كلِّ محرَّمٍ مكروهٍ، فالحسدُ حمَلَ إبليسَ على عدمِ السجود لآدمَ، والتكبُّرِ على أمرِ اللهِ، فكان إمامَ أهل النارِ!

والحسدُ حمَلَ ابنَ آدمَ الأولَ أن يقتُلَ أخاه من أمِّه وأبيه، فكان من الخاسرين!

والحسدُ حمَلَ الصالحين أبناءَ نبيِّ الله يعقوبَ عليه السلام على أن يفعلوا بأخيهم يوسفَ وأبيهم يعقوبَ ما فعلوا، من الكذبِ، والخديعةِ، والعقوقِ، والظلمِ!

والحسدُ حمل قريشًا على تكذيبِ نبيِّهم الذي كانوا يلقِّبونه بالصادقِ الأمينِ، وكان مفخرةً لهم وللعرب كافةً!

والحسدُ حمَلَ اليهودَ- الذين يعرفونه كما يعرفون أبناءَهم- على الكفر به وبدينِه!

وهكذا يفعَلُ الحسَدُ بأهلِه!

فطالِبُ العلمِ الذي سيكون وعاءً لكتاب الله، وسنةِ رسوله ﷺ الذي يُرجَى له أن يكونَ للمتقين إمامًا؛ لا يحِلُّ له بحالٍ من الأحوالِ أن يكونَ حاسدًا، وكلما حاول الشيطانُ أن يحرِّكَ الحسدَ في قلبِه تُجاهَ إخوانِه من طلبةِ العلمِ وغيرهم لجأ إلى اللهِ تعالى داعيًا: «لا تجعَلْ في قلوبِنا غلًّا للذين آمنوا، ربَّنا إنك رؤوف رحيمٌ»، فالحسدُ إذا وقَعَ بين طلبةِ العلم هدَمَ الدينَ والدعوةَ، وجرَّأَ السُّفهاءَ والمبتدعةَ على فعل كلِّ قبيحٍ.

أما العينُ، فإنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**العَيْنُ حَقٌّ**»(١).

وكلُّ حاسدٍ عائنٌ؛ لأن الحاسدَ مريضُ القلبِ، خبيثُ النفسِ، تسلَّطَ عليه الشيطانُ، فإذا نظر نظر بعينِ شيطانٍ، بعينٍ حاسدةٍ.

وليس كلُّ عائنٍ حاسدًا، فقد تقعُ العينُ من الصالحين بدونِ قصدٍ، كما حصل من عامرِ بنِ ربيعةَ مع سهلِ بن حُنيفٍ، حينما رآه يغتسِلُ في غَديرِ الماءِ، وكان سهلٌ ذا بشرةٍ بيضاءَ جميلةٍ، فقال عامرٌ:

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٤٠)، ومسلم (٢١٨٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

واللهِ ما رأيتُ كاليومِ قطُّ، ولا جِلدَ مُخبَّأةٍ، فَلُبِطَ سَهْلٌ، فأُخبِر النبيُّ ﷺ بما حدث فقال: «هَلْ تَتَّهِمُونَ فِيهِ مِنْ أَحَدٍ؟». قالوا: نعم يا رسولَ الله، عامرَ بنَ ربيعةَ، فتغيَّظ عليه رسولُ الله ﷺ وقال: «عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ؟ هَلَّا إِذَا رَأَيْتَ مَا يُعْجِبُكَ بَرَّكْتَ؟»[(١)].

أي: إن العينَ قد تصيبُ بالقتلِ بقدَرِ اللهِ، وقوله: «هَلَّا إِذَا رَأَيْتَ مَا يُعْجِبُكَ بَرَّكْتَ؟»؛ أي: أنك لو دعوتَ له بالبركةِ ما وقعت عينُك عليه؛ ولذلك قال النبيُّ ﷺ: «إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ أَخِيهِ، أَوْ مِنْ نَفْسِهِ، أَوْ مِنْ مَالِهِ مَا يُعْجِبُهُ، فَلْيُبَرِّكْهُ؛ فَإِنَّ العَيْنَ حَقٌّ»[(٢)].

فبيَّن النبيُّ ﷺ أنَّ الإنسانَ إذا رأى شيئًا أعجَبَه في نفسِه، أو غيرِه، أو ماله، ودعا بالبركةِ؛ فإن عينه لا تصيبُ شرًّا بفضلِ الله تعالى.

فعامرُ بنُ ربيعةَ صحابيٌّ جليلٌ، وقد وقعت عينُه بغيرِ قصدٍ على أخيه سهلِ بنِ حُنيفٍ، فأصابته بقدرِ اللهِ؛ لأنه لم يدعُ بالبركةِ، ولو دعا لما حصل شيءٌ.

---

(١) أخرجه أحمد (١٥٩٨٠).

(٢) أخرجه أحمد (١٥٧٠٠).

ثم أمر النبيُّ ﷺ عامرَ بنَ ربيعةَ أن يغتسِلَ؛ ليصبَّ ماءَه على سهلِ بن حُنيفٍ، فلما صُبَّ هذا الماءُ على سهلٍ قام صحيحًا معافًى، كأنما نُشِطَ من عقالٍ.

ولذلك يجِبُ على كلِّ مسلمٍ عمومًا، وعلى طالبِ العلم خصوصًا إذا رأى ما يعجِبُه في نفسِه، أو في غيرِه من كثرةِ العلم، وسهولةِ الحفظِ، وجمالِ اللونِ، والطبع، وحسنِ الخلُقِ: الواجبُ عليه أن يكونَ قدوةً صالحةً للخلْقِ، فلا يجوز أبدًا أن يكونَ عائنًا ولا حاسدًا.

www.alukah.net

الثالث والعشرون: الحِلمُ والأناةُ:

الحِلمُ هو ضبطُ النفسِ والطبع عن هيجانِ الغضبِ، والتعجُّلِ بالسوءِ، وهو خلافُ الطيشِ.

والأناةُ هي الحلمُ، والوقارُ، والتمهلُّ في تدبُّرِ الأمورِ، وتركُ التعجلِ، والرفقُ في الأمورِ؛ ولذلك مما يجِبُ على طالبِ العلم أن يتحلَّى به في حياتِه كلِّها؛ الحلمُ والأناةُ، وهما صفتان عظيمتان يحبُّهما اللهُ تعالى، ويمدَحُ صاحبَهما؛ ولذا قال النبيُّ ﷺ لأشجِّ عبدِ القيسِ رضي الله عنه: «إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الحِلْمُ وَالأَنَاةُ»(١)، وقال ﷺ: «التَّأَنِّي مِنَ اللهِ، وَالعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ»(٢).

وقال ﷺ: «السَّمْتُ الحَسَنُ، وَالتُّؤَدَةُ وَالاِقْتِصَادُ جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (١٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٠١٠)، وقال: حديث حسن، وحسنه الألباني.

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٢٠٢٧٠).

أما الإنسانُ العجولُ فإنه يُحرَمُ خيرًا كثيرًا، فمن استعجل شيئًا قبلَ أوانِه عوقِبَ بحرمانِه، إلا إذا كانت العجَلةُ في فعلِ الخيرات، فهي مندوبٌ إليها، قال النبيُّ ﷺ: «**التُّؤَدَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي عَمَلِ الآخِرَةِ**»(١).

وهذا من معنى قولِه تعالى: {۞وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ ...} [آل عمران:١٣٣]، {سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ...} [الحديد:٢١]، {فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ} [البقرة:١٤٨]، والتعجُّلُ في غيرِ ذلك يعقُبُه الندمُ، وبخاصة في ارتكابِ الجرائمِ، فكم من سجينٍ يندَمُ على تعجُّلِه في ارتكابِه للجريمةِ، وكم من تاجرٍ ندِمَ بعجلتِه في صفقةٍ من الصفقاتِ فخسِرَ بسببِها، وكم من إنسانٍ ندِمَ بسببِ تعجُّلِه في سوءِ الظنِّ بالمسلمين، ولذلك قال الله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦} [الحجرات:٦].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨١٠)، وصححه الألباني.

وقال أسامةُ بنُ زيدٍ رضي الله عنه: بَعثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الحُرَقَةِ مِنْ جُهَيْنَةَ، فَصَبَّحْنَا القَوْمَ فَهزَمْنَاهُمْ وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ رَجُلاً مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِينَاهُ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، فَكَفَّ عَنْهُ الأَنْصَارِيُّ، وَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ لِي: **يَا أُسَامَةُ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ** ؟ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّذًا. قَالَ: فَقَالَ: **أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ** ؟!

قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حتى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لم أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ اليَوْمِ[1].

فتعجُّلُ أسامةَ بقتلِ الرجلِ – بعد نطق الشهادة – أورَثَه الندمُ.

وكان من هَدي النبيِّ ﷺ التأنِّي والتؤدةُ، والحِكمةُ في معالجةِ الأمورِ، والحكمِ عليها.

والحِلمُ – كما سبق – هو ضبطُ النفسِ عند الغضبِ، وكفُّها عن مقابلةِ الإساءةِ بالإساءة، والتأني في إيقاعِ العقابِ المناسب، ويكفي

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٦٩)، ومسلم (٩٦).

أن الحِلمَ صفةٌ من صفاتِ اللهِ جل وعلا، فاللهُ هو الحليمُ، وهو الذي يمهِلُ ولا يهمِلُ، يصبرُ على المذنبين لعلهم يتوبون.

والحِلمُ صفةُ الأنبياءِ والصالحين، قال اللهُ تعالى عن إبراهيم عليه السلام: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾} [هود:٧٥]، وقال عن إسماعيلَ عليه السلام: {فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾} [الصافات:١٠١]، وقد أمر اللهُ تعالى به فقال: {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾} [آل عمران:١٣٤]، وقال: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾} [الأعراف:١٩٩].

وقد بلغ النبيُّ محمدٌ صلى الله عليه وسلم مبلغًا عظيمًا من الحِلم والصبرِ على أذى المؤذين، من المشركين والأعرابِ، فعن أنسٍ رضي الله عنه قال: كنتُ أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم، وعليه بُرْدٌ نجرانيٌّ غليظُ الحاشيةِ، فأدركه أعرابيٌّ فجذَبَه جذبةً شديدةً، حتى نظرتُ إلى صفحةِ عاتقِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم قد أثَّرَتْ به حاشيةُ الرداءِ من شدَّةِ جذبتِه، ثم قال: مرْ لي من مالِ اللهِ الذي عندك، فالتفت إليه فضحِك، ثم أمَرَ له بعطاءٍ[(١)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٤٩)، ومسلم (١٠٥٧).

وقد قال ﷺ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رُؤُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللهُ مِنَ الحُورِ العِينِ مَا شَاءَ»(١).

وعلى ذلك كان السلفُ الصالحُ، فعن عليٍّ رضي الله عنه، قال: «مَن لانت كلمتُه، وجَبتْ محبَّتُه، وحِلمُكَ على السفيهِ يكثِّرُ أنصارَكَ».

وقيل لقيسِ بنِ عاصمٍ: ما الحِلمُ؟

قال: أن تصِلَ مَن قطعَك، وتعطي من حرمَكَ، وتعفو عمَّن ظلمك.

وقال الحسنُ: المؤمنُ حليمٌ لا يجهَلُ، وإن جهِلَ الناسُ عليه، وتلا قولَه تعالَى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ۝٦٣﴾ [الفرقان:٦٣].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٧٧).

الفصل الثاني
آدابُ الطالبِ مع شيخِه ومعلِّمِه

الأدبُ كمالٌ في الدِّين، وصيانةٌ للنفسِ، وزيادةٌ في العقلِ، وعونٌ على المروءةِ، وحليةٌ في المجلس، وصاحبٌ في الغُربةِ، وسرُّ السيادةِ والقِوامةِ(١).

وأدبُ الطالبِ مع معلِّمِه و شيخِه ينحصِرُ في أمرينِ أساسيينِ، يُبنَى عليهما غيرُهما، ألَا وهما:

أن يعتبر الطالبُ شيخَه ومعلِّمَه معلِّمًا مربِّيًا، معلِّمًا يُلقي إليه العلمَ، ومربِّيًا يلقي إليه الأدبَ؛ لأنه إذا لم يَثِقْ في معلِّمِه وشيخِه في هذينِ الأمرينِ فلن يستفيدَ منه الفائدةَ المرجوةَ؛ بل سيزدادُ جهلًا وكِبرًا، وسوءَ أدبٍ(٢).

ومن أهمِّ هذه الآدابِ التى ينبغى على طالبِ العلم أن يتأدَّبَ بها مع شيخِه ومعلِّمِه ما يأتي:

---

(١) زهر الغصون في كتاب الفنون. كامل الخراط ص٢٠.

(٢) انظر: حلية طالب العلم، بشرح ابن عثيمين ص٩٥.

(١) إنزالُ المعلِّمِ والشيخِ منزلةَ الوالدِ في الاحترامِ والتوقيرِ:

غالبًا ما يعلِّمُ الشيخُ والمعلِّمُ الطالبَ علمًا وأدبًا لا يستطيعُ والدُه أن يعلِّمَه إياه، ففضلُ العالِمِ والمعلمِ على الطالب عظيمٌ؛ كما قال النبيُّ ﷺ: «**إِنَّ فَضْلَ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ، كَفَضْلِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ**»[١].

ففضلُ العالِمِ يزيدُ على فضلِ الوالد في أمورٍ كثيرةٍ، ولكلٍّ فضلُه ومحلُّه؛ ولذلك قال النبيُّ ﷺ عن نفسه: «**إنَّما أنا لكُمْ بمَنْزِلةِ الوالِدِ أُعلِّمُكُم**»[٢].

فكما أن الولدَ لا يجمُلُ به أن يناديَ أباه باسمه المجرَّدِ، فكذلك مع الشيخِ والمعلِّمِ، فينادي شيخه: يا شيخَنا، يا معلِّمَنا، يا سماحةَ الشيخِ، يا فضيلةَ الشيخِ، يا أستاذَنا... إلى آخره، وهذا حقُّ المعلِّمِ والشيخ، فإن اللهَ أنزل المعلِّمين والعلماءَ منزلتَهم في الكتاب والسنة؛ قال اللهُ للنبيِّ محمد ﷺ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤١).

(٢) أخرجه أبو داود (٨).

ٱلنَّبِىُّ}، {يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ١} [المزمل:١]، {يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ١} [المدثر:١]، ونحو ذلك.

ويقولُ النبيُّ ﷺ عن سعدِ بنِ معاذٍ سيِّدِ الأنصارِ: «**قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ**»[١].

قال السعدي رحمه الله: فليس نفعُ الآباء والأمهات نظيرًا لنفعِ المعلِّمين المربِّين للناسِ بصغار العلم قبلَ كِبارِه، الباذلين نفائسَ أوقاتِهم، وصفوةَ أفكارِهم في تفهيم المسترشدين بكلِّ طريقٍ ووسيلةٍ يقدِرون عليها[٢].

فانظر يا طالبَ العلم إلى معلِّمِك كيف يبذُلُ وقتَه، وجهدَه، ونفسَه، وفكرَه، وعلمَه؛ ليُزيلَ عنك الجهلَ، ويُعلِّمَك العلمَ، ويأْخُذَ بيدِك إلى طريقِ النجاةِ، والرِّفعةِ في الدنيا والآخرةِ، فقد بذَلَ عمُرَه، وجهدَه في تحصيلِ هذا العلم؛ ليوصله إليك، ويجعَلَ منك عالمًا

(١) أخرجه البخاري (٣٠٤٣)، ومسلم (١٧٦٨).
(٢) الفتاوى السعديةص٦٢٦.

محترمًا موقَّرًا، ألا يستحِقُّ هذا المعلِّمُ الاحترامَ، والتوقيرَ، والإجلال!

فأعظَمُ مِنَّةٍ مَنَّ اللهُ بها على الخلقِ العلمُ النافعُ، والعالمُ النافعُ، وأنفعُ علمٍ وأنفعُ عالمٍ هو علمُ الشريعةِ وعالمُ الشريعةِ، وسيِّدُهم ومصطفاهم هو رسولُ اللهِ محمدٌ الذي قال اللهُ فيه: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ١٦٤﴾ [آل عمران:١٦٤].

وهكذا العلماءُ هم وَرَثةُ الأنبياءِ، ولولا أن منَّ الله علينا بهم لكنَّا في ضلالٍ مبين، فالحمدُ لله على نعمةِ العلم والمعلِّمين!

(٢) تلطُّفُ الطالبِ مع شيخِه ومعلِّمِه وإظهارُ الحاجةِ لعلمِه:

نتبيَّنُ هذا الأدبَ الجليلَ من قصَّة نبيِّ الله موسى مع نبي اللهِ الخضِرِ عليهما السلام، فحينما ذهب موسى الكليمُ النبيُّ الرسولُ المعظَّمُ عندَ الله تعالى إلى نبيِّ الله الخضر طالبًا للعلم عنده؛ ذهب

بصورةِ الطالب المتواضعِ المؤدَّبِ الخاضعِ لشيخِه ومعلمه قائلًا له: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦].

وهذا أدبٌ رفيعٌ، وخطابٌ لطيفٌ من الطالبِ مع شيخه؛ علمًا بأن موسى أفضلُ عند الله من الخضِرِ، وأعلمُ منه بإطلاق؛ ولكن الخضرَ يفضُلُه في بعضِ العلوم.

ولذلك قال الشيخُ السعديُّ في فوائدِ قصةِ موسى والخضر: ومنها: التأدُّبُ مع المعلِّمِ، وخطابُ المتعلِّمِ إياه بألطفِ خطابٍ، فموسى أخرج الكلامَ بصورةِ الملاطفةِ والمشاورة، وأنك هل تأذنُ لي في ذلك أم لا؟ وإقرارُه بأنه يتعلَّمُ منه، بخلافِ ما عليه أهلُ الجفاء أو الكبرِ الذين لا يظهِرون للمعلِّمِ افتقارَهم إلى علمِه؛ بل يدَّعون أنهم يتعاونون هم وإيَّاه، وربَّما ظنَّ أحدُهم أنه يُعلِّمُ معلِّمَه، وهو جاهلٌ جدًّا[1].

(١) تفسير السعدي لسورة الكهف (ص٤٨٢).

وقال الشيخُ ابنُ عثيمين: وفي هذا دليلٌ أنَّ على طالبِ العلم أن يتلطَّفَ مع شيخِه، ومع أستاذِه، وأن يعامِلَه بالإكرام(١).

قلتُ: وخطابُ موسى عليه السلام للخضِرِ في الاستئذان في طلبِ العلم لديه تلطفٌ مع الشيخ، ومشاورةٌ له، واستئذانُه تواضعٌ له، وإظهارُ الحاجةِ إليه، وإكرامُه وإجلالُه، وإنزالُه منزلَتَه، ومعرفةُ قدرِه.

(٣) طاعةُ الشيخِ والمعلِّمِ في طاعة الله تعالى:

فمن أهمِّ آدابِ الطالبِ مع مَن يعلِّمُه طاعةُ المعلِّمِ وامتثالُ أمرِه في طاعةِ الله تعالى، فهذا نبيُّ الله موسى لمَّا رحل لطلبِ العلمِ من نبي الله الخضِرِ قال له: {سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ٦٩} [الكهف:٦٩].

والعلماءُ من ولاةِ الأمورِ الذين أمرَنا اللهُ بطاعتِهم في طاعتِه، فقال سبحانه: {أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ} [النساء:٥٩]، فأولو الأمرِ هم الأمراءُ والعلماءُ، ولا يستقيمُ للناسِ أمرُ دينِهم ودنياهم إلا بطاعتِهم والانقيادِ لهم، طاعةً لله فيما أمرَ اللهُ

(١) تفسير ابن عثيمين لسورة الكهف.

ونهى، لقولِ النبي ﷺ: «لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ»(١).

(٤) التواضعُ للمعلِّم والشيخِ:

قال النبيُّ ﷺ: «مَنْ تَوَاضَعَ للهِ رَفَعَهُ اللهُ»(٢).

وقال ﷺ: «إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»(٣)، فإذا كان التواضع مأمورًا به مع عامَّةِ الناس، فهو مع أهلِ العلمِ والفضلِ من باب الأَوْلى.

وإذا كان الكِبرُ على عمومِ الناسِ مذمومًا ومن أكبرِ الكبائرِ؛ فهو على أهلِ العلم والفضلِ أشدُّ جرمًا وحرمةً من بابٍ أولى.

وانظر رحمك اللهُ إلى تواضعِ النبيِّ الرسولِ الحليمِ الجليلِ، الذي اصطفاه الله تعالى على أهل زمانه برسالاتِه وبكلامِه، واصطنعه لنفسِه، وربَّاه على عينِه موسى عليه السلام حينما ذهب لطلبِ

(١) أخرجه البخاري (٧٢٥٧)، ومسلم (١٨٤٠).
(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٤٨٩٤).
(٣) أخرجه مسلم (٢٨٦٥).

العلمِ من نبيِّ الله الخضِرِ عليه السلام وقال له: {هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ٦٦} [الكهف:٦٦].

وانظر إلى عظيمِ تواضعِ الصحابة الكرامِ مع الشيخِ المعلِّم القدوةِ المربِّي رسولِ الله وخليلِه محمدٍ ﷺ، فقد كانوا يهابون النظرَ إليه، ولا يرفَعون صوتَهم عليه، وكانوا بين يديه وتحت رجليه متواضعين له، معظِّمين موقِّرين لجنابِه.

وانظر إلى تواضِعِ الصحابةِ فيما بينهم وبين بعضِهم من عالمٍ ومتعلِّمٍ، فهذا حبرُ الأُمةِ وترجمانُ القرآنِ عبدُ اللهِ بنُ العباس يأخُذُ بِرِكابِ زيدِ بنِ ثابتٍ الأنصاريِّ ويقولُ له: هكذا أُمِرنا أن نفعَلَ بعلمائِنا[(١)].

وهذا عمرُ بنُ الخطاب يبرُكُ على ركبتَيْه أمامَ النبيِّ ﷺ ويقولُ: «رضينا بالله ربًّا، وبالإسلامِ دينا، وبحمدٍ نبيًّا»، وذلك حينما أغضبَ بعضُ الناسِ رسولَ الله ﷺ بكثرةِ السؤالِ[(٢)].

---

(١) أخرجه البيهقى (١٢٣٢٤)، والحاكم (٥٨٣٦)، وصححه.
(٢) أخرجه البخاري (٩٣)، ومسلم (١١٦٢).

بالتواضعِ ينالُ الطالبُ علمًا كثيرًا، وخيرًا عظيمًا، وبركةً في كلِّ شيءٍ، وبالكبرِ والتعالي والعُجبِ بالنفسِ؛ يُحرَمُ الطالبُ العلمَ، والفهمَ، والخيرَ، ويصرِفُه اللهُ إلى الباطلِ والسوءِ، كما قال الله سبحانه: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأعراف:١٤٦].

(٥) إجلالُ الشيخِ المعلِّم واحترامُه وتوقيرُه وهيبتُه:

فالعلماءُ هم ورثةُ الأنبياء في العلمِ النافعِ والعملِ الصالح، وهم قدوةُ الناس بعد النبي ﷺ، وفضلُهم على غيرهم عظيمٌ، وقد رفَعَ اللهُ تعالى منزلتَهم، وأعلى شأنَهم، ولذلك أمرنا النبيُّ ﷺ أن نُجِلَّهم ونحترمَهم، ونهابَهم، وجعل احترامَهم وإجلالَهم وهيبتَهم من احترامِ وإجلالِ اللهِ سبحانه وتعالى فقال ﷺ: «**إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الغَالِي فِيهِ**

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَالجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ المُقْسِطِ»[(١)]. فمن وقَّرَ شيخَه ومعلِّمَه وفَّقَه اللهُ وعلَّمه، وبارك له فى علمِه ونفعَ به.

عن عبدِ الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: مكثتُ سنةً أريدُ أن أسألَ عمرَ بنَ الخطاب عن آيةٍ، فما أستطيعُ أن أسألَه؛ هيبةً له، حتى سأله- وهو خارجٌ معه للحجِّ- عن المرأتينِ اللتين تظاهرتا على النبيِّ صلى الله عليه وسلم كما في سورةِ التحريمِ[(٢)].

وعن مسروقٍ أن عمرَ سأل حذيفةَ عن الفتن، فأجابه بأن بينَه وبينها بابًا مغلقًا، قال الراوي عن حذيفةَ: فهِبْنا أن نسألَ حذيفةَ مَنْ البابُ؟ فقلنا لمسروقٍ: سلْه، فسأله فقال: عمرُ[(٣)].

وهكذا كان طلابُ العلمِ يجِلُّون ويهابون ومعلميهم؛ تعبُّدًا وتقربًا لله تعالى.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٤٣).

(٢) أخرجه البخاري (٩١٣).

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٨٦)، ومسلم (١٤٤).

قال الشافعيُّ: كنتُ أصفَحُ الورَقَ بين يدَيْ مالكٍ صفحًا رقيقًا؛ هيبةً له لئلا يسمَعَ وقعَها.

وقال الربيعُ: واللهِ ما اجترأتُ أن أشرَبَ الماءَ والشافعيُّ ينظرُ إليَّ هيبةً له[(١)].

وعن مغيرةَ قال: كنا نهابُ إبراهيمَ النَّخَعِيَّ كما يُهابُ الأميرُ[(٢)].

وقال ابنُ الخياطِ يمدَحُ الإمامَ مالكًا:

يَدَعُ الجَوابَ فَلا يُراجَعُ هَيْبَةً * وَالسَّائِلُونَ نَوَاكِسُ الأَذْقَانِ

نُورُ الوَقَارِ وَعِزُّ سُلْطَانِ التُّقَى * فَهُوَ المَهِيبُ وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانِ

فمن لم يحترِمْ شيخَه ويُوقِّرْه حُرِمَ بركةَ العلمِ، وجرَّأَ اللهُ عليه السفهاءَ.

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (١/ ١٨٣).

(٢) التذكرة لابن جماعة ص١٣٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(٦) محبةُ العلماءِ وجوازُ تقبيلِ رؤوسِهم وأيدِيهم:

محبةُ المؤمنين وموالاتُهُم في الله تعالى من أوثقِ عُرَى الإيمانِ، ومن أعظمِ أسبابِ نوالِ ظلِّ عرشِ الرحمن يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه، ونوالِ حلاوةِ الإيمانِ، ورضا الرحمن، ومحبَّتِه للمؤمنِ، والرِّفعةِ على منابرَ من نورٍ يومَ القيامة؛ كما صحَّت بذلك الآثارُ عن رسولِ الله ﷺ.

وهذا في حقِّ عمومِ المؤمنين، فما بالُنا لو كانت هذه المحبةُ والموالاةُ في حقِّ أولياءِ اللهِ الصالحين من العلماءِ والمشايخِ المتقينِ، مصابيحِ الدجى، وسُبُلِ الهدى، الذين هدى اللهُ بهم من الضلالةِ، وأزال بهم الجهلَ والعمى عن الناسِ، وأخرجَهم بهم من ظلماتِ الجهلِ والبدعةِ والشركِ إلى نورِ العلمِ والتوحيدِ والسُّنةِ.

فمحبةُ العلماءِ والمعلِّمين الصالحين واجبةٌ شرعًا على المتعلِّمين، فإن اللهَ جل وعلا قال: {وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ} [التوبة:٧١].

وقد توعَّد اللهُ من عادى أولياءَه من العلماء والصالحين بالحربِ

قال الله تعالى: «**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ**»(١).

فمَن أحبَّهم أحبَّه اللهُ، ومن آذاهم وعاداهم عاداه اللهُ وآذاه.

العلماءُ والمعلِّمون هم خيرُ الناسِ، وأولى الناسِ حقًّا على الناسِ، فهم أهلٌ للإجلالِ والتقدير، فلو قبَّل الطالبُ رأسَ شيخِه، أو يدَه فلا بأسَ ولا حرجَ بشرط ألا يتخِذَ ذلك عادةً ولا غلوًّا في الشيخ، وألا يدعوَ ذلك إلى تكبُّرِ المعلِّمِ، أو مدِّ يده للناسِ ليلعَقوها كالصوفيةِ المبتدعين، وألا يؤدِّيَ ذلك إلى تركِ سنةِ المصافحةِ التي بها تتساقطُ الذنوبُ، كما أخبر النبيُّ ﷺ: «**إِذَا التَقَى المُسْلِمانِ فَتَصَافَحَا تَسَاقَطَتْ ذُنُوبُهمَا قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِقَا**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

(٢) انظر: «السلسلة الصحيحة» للألباني (١/ ٣٠٢).

فقد كان طلبةُ العلمِ يقبِّلون رؤوسَ العلماءِ وأيديَهم أحيانًا؛ كما يقبِّلُ الولدُ يدَ أبيه، فقد قبَّل بعضُ التابعين يدَ الصحابيِّ الجليلِ سلَمةَ بنَ الأكوعِ رضي الله عنه[1].

وقال الإمامُ مسلمُ بنُ الحجاجِ للإمام البخاريِّ: دعني أُقبِّلْ رِجليكَ يا أستاذَ الأستاذينَ، وسيِّدَ المحدِّثين، وطبيبَ الحديثِ في عِللِه[2].

وقال العلامةُ الألبانيُّ رحمه الله: وأما تقبيلُ اليدِ ففي الباب أحاديثُ وآثارٌ كثيرةٌ، يدُلُّ مجموعُها على ثبوتِ ذلك عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إذا توفَّرت الشروطُ الآتيةُ: ألا يتخذ ذلك عادةً، ولا غلوًّا، وألا يدعو ذلك إلى التكبُّر[3].

وقال النوويُّ رحمه الله: تقبيلُ يدِ الرجُلِ لزهدِه وصلاحِه، أو علمِه، أو شرفِه، أو صيانتِه، أو نحوِ ذلك من الأمورِ الدينيةِ؛ لا

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد بسند صحيح (٩٧٣).
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٢/ ٤٣٢).
(٣) السلسلة الصحيحة (١/ ٣٠٢).

يُكرَهُ؛ بل يُستحَبُّ، فإن كان لغناه، أو شوكتِه، أو جاهِه عند أهل الدنيا؛ فمكروهٌ شديدُ الكراهةِ. اهـ(١).

وعن أسامةَ بنِ شَريكٍ قال: قمنا إلى النبي ﷺ فقبَّلنا يدَه(٢).

قال الحافظُ ابن حجر: إسناده قويٌّ.

وأخرج الترمذيُّ عن النبيِّ ﷺ أنه قَبَّل زيدَ بنَ حارثةَ واعتنقه(٣).

ولما قدِم عمرُ بنُ الخطابِ الشامَ استقبلَه أبو عبيدةَ بنُ الجَرَّاحِ وقبَّل يدَه(٤).

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٩٩) تحت حديث رقم (٦٢٦٥).
(٢) فتح الباري(١١/ ٥٧).
(٣) أخرجه الترمذي (٢٧٣٢).
(٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٣٩٦٩): عَنْ تَمِيمِ بْنِ سَلَمَةَ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ عُمَرُ رضي الله عنه الشَّامَ اسْتَقْبَلَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ رضي الله عنه، فَقَبَّلَ يَدَهُ، ثُمَّ خَلَوْا يَبْكِيَانِ. قَالَ: فَكَانَ تَمِيمٌ يَقُولُ: تَقْبِيلُ الْيَدِ سُنَّةٌ.

(٧) الصبرُ على صحبةِ الشيخِ وشدَّتِهِ إن كان به شدةٌ:

فهذا نبيُّ الله موسى لمَّا ذهبَ طالبًا للعلمِ من نبيِّ اللهِ الخضِر عليهما السلام، وقال له: ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ٦٦﴾ [الكهف:٦٦]، قال له الخضِرُ: ﴿إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٦٧ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ٦٨ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ٦٩ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ٧٠﴾ [الكهف:٧٠]، قال موسى الطالبُ المتواضِعُ الصبورُ الذي بذَلَ رحلةً طويلةً من أجلِ طلب العلم: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ٦٩﴾ [الكهف:٦٩]؛ فلا علمَ إلا بالصبرِ، ومن لا صبرَ عنده لا يدرِكُ العلمَ.

ولو كان عند الشيخِ أو المعلِّمِ شيءٌ من الجفاءِ الحقيقيِّ، أو المُصطَنَعِ فالواجبُ على الطالبِ أن يصبِرَ على هذا الجفاء؛ لأنه لو لم يصبِرْ سيظلُّ في عَمَايَةِ الجهلِ؛ ولذلك قال بعضُ السلفِ: مَن لم يصبِرْ على ذُلِّ التعلُّمِ بقِيَ عمرَه في عَمَايَةِ الجَهالةِ، ومَن صبر عليه آل أمرُه إلى عزِّ الدنيا والآخرةِ.

قال الإمامُ الشافعيُّ رحمه الله:

اصْبِرْ عَلَى مُرِّ الجَفَا مِنْ مُعَلِّمٍ * فَإِنَّ رُسُوبَ العِلْمِ فِي نَفَرَاتِهِ

وَمَنْ لَمْ يَذُقْ مُرَّ التَّعَلُّمِ سَاعَةً * تَجَرَّعَ ذُلَّ الجَهْلِ طُولَ حَيَاتِهِ

وَمَنْ فَاتَهُ التَّعْلِيمُ وَقْتَ شَبَابِهِ * فَكَبِّرْ عَلَيْهِ أَرْبَعًا لِوَفَاتِهِ

وهذا سلمانُ الفارسيُّ ﵁ كيف صبَرَ على طلبِ العلمِ، وعلى صحبةِ مشايخِه، الصالحِ منهم والطالحِ، حتى يصِلَ إلى الحقِّ الذي منَّ اللهُ به عليه، حتى صار من أصحابِ رسولِ الله ﷺ المبشَّرين بالجنَّةِ.

ولذلك قال ابنُ جماعةَ رحمه الله في آدابِ الطالبِ مع شيخه: أن يصبِرَ على جفوةٍ تصدُرُ من شيخِه أو سوءِ خُلُقٍ، ولا يصدَّه ذلك عن ملازمتِه وحسنِ عقيدتِه، ويتأولَ أفعالَه التي يظهَرُ أن الصوابَ خلافُها على أحسنِ تأويلٍ، ويبدَأُ هو عند جفوةِ الشيخ بالاعتذارِ والتوبةِ مما وقعَ والاستغفار، وينسُبَ الموجِبَ إليه، ويجعَلَ العتبَ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عليه، فإن ذلك أبقى لمودَّةِ شيخه، وأحفظُ لقلبِه، وأنفَعُ للطالبِ في دنياه وآخرتِه. اهـ[١].

(٨) استئذانُ الشيخِ في أخذِ العلمِ عنه، والدخول عليه، والتلقِّي عن غيرِه:

واستفدنا هذا الأدبَ من نبيِّ الله موسى ﷺ في رحلتِه لطلبِ العلمِ من نبي اللهِ الخضرِ حين قال له: {هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ٦٦} [الكهف:٦٦]؛ أي: أتأذنُ لي في أن تعلمَني مما علمَك اللهُ من العلمِ النافعِ الرشيدِ، بسؤالٍ فيه تلطفٌ وحسنُ أدبٍ.

وهذا أدبٌ استفدناه من أعلم الأمَّةِ بالحلالِ والحرامِ معاذِ بنِ جبلٍ رضي الله عنه حين قال للنبيِّ ﷺ: أتأذنُ لي في أن أتقدَّمَ إليك على طيبةِ نفسٍ؟ قال:«نَعَمْ». فاقتربَ معاذٌ فسارا جميعًا، فقال معاذٌ: بأبي أنت وأمي يا رسولَ الله، أسألُ اللهَ أن يجعلَ يومَنا قبل يومِك، أرأيتَ إن

(١) تذكرة السامع والمتكلم ص٤٢.

كان شيءٌ- ولا نرى شيئًا إن شاء الله تعالى- فأيُّ الأعمالِ نعمَلُها بعدَك...؟[١].

وكان الصحابةُ إذا أرادوا الدخولَ على النبيِّ ﷺ استأذنوا. والاستئذانُ في الطلبِ والسؤالِ والدخولِ يدُلُّ على حسنِ خلُقِ المتعلِّمِ، وصيانةِ حرمةِ الشيخِ، كما استأذنَ أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ على النبىِّ ﷺ، وبشَّرهم بالجنَّةِ كما فى حديث أبي موسى... الحديث[٢].

أما الانتقالُ لشيخٍ آخَرَ لأخذِ العلم عنه، فكما قال ابنُ سيرين رحمه الله: إنَّ هذا العلمَ دِينٌ فانظروا عمن تأخذون دينكم، فالذي يعرِفُ العلماءَ أهلَ الحقِّ هم علماءُ الحقِّ من أهلِ السنةِ والجماعةِ، فلا بدَّ من مشورةِ الشيخِ العالمِ الرَّبَّانيِّ، فإنه أدرى وأعلمُ بمَن تريدُ الذَّهابَ إليه، وفي ذلك تحصينٌ لطالب العلمِ من الوقوع في البدعِ، أو مصاحبةِ الحِزبيِّين، والمبتدعين أهلِ الضلال.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٧٨٥٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٤)، ومسلم (٢٤٠٣).

وهذا الأدبُ في جملته يزيدُ من محبةِ الشيخِ للطالبِ، ورجاءِ الخيرِ له.

(٩) شكرُ المعلِّمِ بالدعاءِ له والثناءِ عليه وصيانةِ حرمته:

فضلُ المعلِّمِ والشيخِ على طالبِ العلم لا يقدُرُه ولا يكافِئُ عليه إلا اللهُ تعالى إذا صلَحت النيةُ، فالشيخُ والمعلمُ بذل نفسَه، ووقتَه، وجهدَه، وعلمَه لبناءِ الطالب وإسعادِه دينًا ودُنيا وأُخرى، فهو فضلٌ ونعمةٌ من اللهِ على الطالبِ وغيرِه من الناسِ، والواجِبُ على العبدِ إذا أنعَمَ اللهُ عليه نعمةً أن يشكُرَ اللهَ عليها، فالواجِبُ على طالبِ العلمِ أن يكونَ شاكرًا لنعمةِ المعلِّمِ والمربِّي، بالأدبِ والاحترامِ، والتوقير، والإجلال، والتقدير، والدعاء، والثناءِ عليه إلى المماتِ، لقول النبيِّ ﷺ: «مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»(١).

وبقوله ﷺ: «لا يَشْكُرُ اللهَ مَن لا يَشْكُرُ النَّاسَ»(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود (١٦٧٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨١١).

والله جل وعلا يقولُ: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ۝٧} [إبراهيم:٧].

فالشيخُ والعالمُ، علَّمَ، وربَّى، وأدَّب، وعاقبَ، وعاتَبَ، ونصَحَ، ووعظَ، وبذلَ ما في وُسعِهِ لإصلاحِ الطالبِ؛ فحقُّه الشكرُ والثناءُ، وصيانةُ الحرمةِ وردُّ الجميلِ وحفظُه لقولِ النبيِ ﷺ: «**إِنَّ حُسْنَ العَهْدِ مِنَ الإِيمَانِ**»[1]؛ أي: شكرَ النعمةِ، وحفظَ الجميلِ، وصيانةَ الحرمةِ من الدين[2].

(١٠) عدمُ التقدمِ على المعلِّم في الكلام أو السير، وعدمُ رفع الصوت:

النبيُّ محمدٌ ﷺ سيِّدُ العلماء، وعلماءُ الأمَّة هم ورَثةُ علمِه، وقد أدَّب اللهُ تعالى المسلمين مع النبي عليه السلام بألا يتقدموا عليه بقولٍ، أو رأيٍ، أو فتوى، ونحو ذلك فقال: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الحجرات:١]،

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤٠).

(٢) انظر :«التذكرة» لابن جماعة ص١٩٩.

وكذلك أدَّب اللهُ المسلمين بألَّا يرفعوا أصواتَهم فوقَ صوتِ النبيِّ فقال: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ} [الحجرات:٢].

والعلماءُ هم وَرَثةُ الأنبياء، فيجِبُ التأدُّبُ مع العلماءِ والمربِّين حمَلةِ علمِ الرسول ﷺ، بعدم التقدُّمِ عليهم بكلامٍ، ولا برأيٍ، ولا بجوابٍ عن سؤالٍ إلا إذا أذِنَ الشيخُ والمعلِّمُ بذلك للطالب.

وكذلك لا يتكلَّمُ بصوتٍ مرتفِعٍ بين يدَيْ شيخِه ومعلِّمِه، وكذلك إذا مشى معه في طريقٍ لا يتقدَّمُ عليه إلا بإذنه أو لمصلحةٍ تعودُ على الشيخِ والمعلِّم، وهذا ما تأدَّب به الصحابةُ مع النبيِّ ﷺ شيخِهم ومعلِّمهم، وكذلك التابعون لهم بإحسان مع معلِّميهم ومشايخِهم.

فهذا عبدُ الله بنُ عمرَ رضي الله عنه حاضرٌ حين سأل النبيُّ ﷺ الصحابة سؤالًا وقال: «**إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ؟**». فوقَعَ الناسُ في شجَرِ البوادي، ووقَعَ

في نفسِ عبدِ الله بنِ عمرَ أنها النخلةُ؛ ولكنه استحيى أن يتكلَّمَ في وجودِ من هم أكبرُ وأعلمُ منه كأبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعليٍّ ونحوِهم.

قال ابنُ عمرَ: فإذا أنا عاشِرُ عشَرةٍ أنا أحدثُهم؛ أي: أنا أصغرُهم، ووقع في نفسي أنها النخلةُ، ورأيتُ أبا بكرٍ وعمرَ لا يتكلَّمان، فكرِهتُ أن أتكلَّم فاستحييتُ، ثم قالوا: حدِّثْنا ما هي يا رسولَ الله؟ قال: «**هِيَ النَّخْلَةُ**»(١). متفق عليه.

قال الإمامُ النوويُّ في شرح حديث ابن عمر هذا: وفيه توقيرُ الكبارِ كما فعل ابنُ عمر، ولكن إذا لم يعرِفِ الكبارُ المسألةَ، فينبغي للصغيرِ الذي يعرِفُها أن يقولَها.

وهذا الصحابيُّ الجليلُ الذي زكاه رسولُ الله ﷺ وقال فيه: «**لَقَدْ أُوتِيَ أَبُو مُوسَى مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ**»(٢) لمَّا دخل مسجدَ النبيِّ ﷺ فوجد قومًا يجلسون حِلَقًا حِلَقًا، وعلى كل حلْقةٍ رجلٌ، وفي

(١) أخرجه البخاري (٦١)، ومسلم (٢٨١١).
(٢) أخرجه البخاري (٥٠٤٨)، ومسلم (٧٩٣).

أيديهم حَصًى، فيقولُ: «هلِّلوا مئةَ، كبِّروا مئة، سبِّحوا مئةً»، فذهب إلى الإمامِ الحَبْرِ عبدِ الله بن مسعود، وأخبره بما رأى، فقال ابنُ مسعودٍ لأبي موسى: فماذا قلتَ لهم؟ قال: أنتظِرُ رأيك، أو انتظار أمرِك.

فذهب ابنُ مسعودٍ وقال لهم: أيُّها الناسُ إما أنَّكم على مِلَّةٍ أهدى من مِلَّةِ محمدٍ ﷺ، وإما أنكم مفتتحو بابِ ضلالةٍ.

فقالوا: واللهِ ما أردنا إلا الخيرَ.

فقال: وكم من مريدٍ للخيرِ لا يصيبُه[(١)].

فمِن أدبِ أبي موسى أنه لم يتكلَّمْ في وجودِ مَن هو أعلَمُ منه، عبدِ الله بنِ مسعود رضي الله عنهم جميعا[(٢)].

ولذلك ذكر ابنُ جماعةَ فى آداب الطالبِ مع الشيخ: ألا يسبقَ الشيخَ إلى شرحِ مسألةٍ، أو جوابِ سؤالٍ منه أو من غيرِه، ولا يساوقَه فيه، ولا يظهِرَ معرفتَه به، أو إدراكَه قبل الشيخِ، فإن عرضَ

---

(١) أخرجه الدارمي في السنن (٢١١).

(٢) انظر في ذلك: حلية طالب العلم، بكر أبو زيد، والتذكرة لابن جماعة (٢/ ١٠٨).

عليه ذلك ابتداءً والتمَسَه منه فلا بأسَ، وينبغي ألَّا يقطَعَ على الشيخ كلامَه، أيَّ كلامٍ كان، ولا يسابِقَه فيه ولا يساوِقَه؛ بل يصبِرَ حتى يفرُغَ الشيخُ من كلامِه، ثم يتكلَّمُ إن أذِنَ له الشيخُ.

(١١) حسنُ الإنصاتِ والاستماعِ للشيخ:

من الأدبِ الواجبِ على الطالبِ حسنُ الإنصاتِ، والصمتُ والاستماعُ للمعلِّم جيِّدًا ليتعلَّمَ ويستفيدَ، ولا يفوتَه شيءٌ مما يُملى عليه، وحتى لا يشوِّشَ على معلِّمِه ولا على الجالسين في مجلسِ العلم، وهذا ما لزِمَه الصحابةُ مع النبيِّ ﷺ، والتابعون لهم بإحسانٍ، وقد علَّم النبيُّ ﷺ أصحابَه هذا الأدبَ، فعن جريرِ بن عبد الله قال: إنَّ النبيَّ ﷺ قال له في حجةِ الوداع: «**اسْتَنْصِتِ النَّاسَ**»؛ أي: مُرْهم بالإنصاتِ؛ لأن النبيَّ ﷺ سيتكلمُ، ويعلِّمُنا شيئًا مهمًا، **ثُمَّ قَالَ**: «**لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**»[(١)].

وقد بيَّنَ البخاريُّ هذا الأدبَ في كتابِ العلمِ من صحيحه عند ذكرِ هذا الحديث فقال: بابُ الإنصاتِ للعلماء.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢١)، ومسلم (٥٦).

فمن سوءِ الأدبِ الانشغالُ عن المعلِّم بشيءٍ آخَرَ كالحديثِ مع أحد الحاضرين، أو القراءةِ في كتابٍ آخَرَ في أثناءِ الدرس، أو الانشغالِ بالجوَّال المحمولِ، أو بالداخل والخارج من الناسِ، أو كثرةِ الالتفات فيما لا يعني، ونحوِ ذلك مما يشوِّشُ الذِّهنَ، ويضيِّعَ الفائدةَ.

فمن لزِمَ الصمتَ والإنصاتَ والأدبَ نجَحَ في الطلب[١].

ولذلك قال سفيانُ الثوريُّ: أولُ العلمِ الاستماعُ، ثم الإنصاتُ، ثم الحفظُ، ثم العملُ، ثم النشرُ[٢].

(١٢) لزومُ الأدبِ في سؤالِ الشيخِ:

الأصلُ أنَّ الطالب يُنصِتُ إلى شيخِه ولا يتكلَّمُ، ولا يسألُ حتى يفرُغَ المعلِّمُ من درسِه وما يريد أن يعلِّمَه للناسِ، ثم بعد ذلك إذا أراد السؤال يستأذنُ شيخَه أو معلمه، فإن أذِنَ له سأل، وإن لم يأذَنْ له أجَّل السؤالَ، وقد استفدنا هذا الأدبَ من نبيِّ الله الخضِرِ عليه السلام،

---

(١) وانظر التذكرة لابن جماعة صـ٩٧.

(٢) فتح الباري (١/ ٢٩٤).

حيث قال لنبيِّ الله موسى: {فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾} [الكهف: ٧٠]، ولما تعجَّل موسى عليه السلام بالسؤالِ حُرِمنا علمًا كثيرًا، حتى قال النبيُّ محمدٌ ﷺ: «وَدِدْنَا لَوْ أَنَّ مُوسَى صَبَرَ حَتَّى يُقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ خَبَرِهِمَا»(١).

وهكذا لو سأل الطالبُ المعلمَ في أثناءِ الدرسِ شوَّش عليه أفكارَه، ولعله ينسى ما كان يريدُ تعليمَه، فلا ينبغي للطالبِ أن يسألَ في أثناءِ الدرسِ إلا إذا دعَتِ الضرورةُ، ولا يسألَ الشيخَ وهو مهمومٌ، أو مشغولُ القلبِ، أو غضبانُ، أو وهو يأكُلُ، أو يتوضأُ، أو وهو يقضي حاجةً من الحاجات، ونحوُ ذلك.

وكم من فائدةٍ تضيعُ، وعلمٌ يُحرَمُ بسببِ قطعِ الدرسِ على الشيخِ بسؤالٍ، فينبغي على الطالب أن يستحسنَ الوقتَ المناسب لسؤال الشيخ والمعلِّم(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٢٧).

(٢) شرح الحلية لابن عثيمين ص٩٨، الفتاوى السعدية ص١٠٢، الأداب الشرعية لابن مفلح ٢/٢٧٧ الجامع لأخلاق الراوي للخطيب البغدادي (٢١١/١).

(١٣) التأدبُ في الجلوسِ عند المعلِّمِ وعندَ سماعِ العلم:

ينبغي على الطالب التأدُّبُ في مجلِسِ شيخِه ومعلِّمِه بالجلوسِ بين يدَيْ الشيخِ، كما يجلِسُ الصبيُّ بين يدَيْ المقرِئِ المحفِّظِ، ويجلسُ متربِّعًا، متواضِعًا، ساكنًا، مُصْغِيًا لشيخِه، موقِّرًا له، منصتًا إليه، ناظرًا إليه، مقبلًا عليه بكُلِّيَّتِه، غيرَ منشغلٍ عنه بأيِّ شاغلٍ، غيرَ مُلتفِتٍ حولَه، ولا عابثٍ بثوبِه أو أنفِه أو أيِّ شيءٍ آخر؛ كالتليفون الجوالِ ونحوِ ذلك، ولا يجلِسُ أمامَ المعلِّم متكئًا، ولا مادًّا رجلَيْه، ولا مازحًا مع أحدٍ، أو ضاحكًا بقهقهةٍ، ولا باصقًا متنخِّمًا أمامَ شيخِه، وإذا عطِسَ سترَ وجهَه بمِنديلٍ ونحوِه، وإذا تثاءب سترَ فاه[1].

فهذا جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لما جاء فى صورةِ سائلٍ متعلمٍ ليعلِّمَ المسلمين، جاء فى صورةِ رجلٍ شديدِ بياضِ الثيابِ شديدِ سوادِ الشعر، لا يُرى عليه أثرُ السفرِ؛ أى: جميلًا وقورًا، وجلس أمامَ النبيِّ ﷺ جِلْسةَ المتأدِّبِ، فاقتربَ من النبىِّ ﷺ ووضَعَ ركبتيه أمامَ ركبتي رسولِ اللهِ

(١) التذكرة لابن جماعة ص٢٠٠.

ﷺ، ووضَعَ يدَيه على فخذَي نفسِه، ثم استأذنَ وسأل، فأجابَه رسولُ الله ﷺ، ثم قال: «هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»(١).

(١٤) التزامُ أدبِ الخطابِ مع الشيخ والمُعلِّمِ:

لمَّا أدَّب اللهُ الأبناءَ مع الآباءِ قال: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [الإسراء:٢٣]؛ أي: أن الابنَ يتأدَّبُ مع والدَيه في خطابِه معهما، لا يفتخِرُ عليهما، ولا يرفَعُ صوتَه عليهما، ويتواضَعُ لهما، ويتكلَّمُ معهما بأدبٍ رفيعٍ، وصوتٍ منخفضٍ، ويدعو لهما بالرحمةِ، ويحفَظُ حقَّهما، ويصونُ كرامتَهما، وكذلك يكونُ هذا الأدبُ مع كلِّ مَن تولَّى تربيةَ الإنسانِ في دينِه، ودنياه تربيةً صالحةً.

وهذا الأدبُ في حقِّ العلماء والمُعلِّمين أولى وأحرى؛ لأن المُعلِّمَ المربِّيَ والعالمَ المُبصِرَ لهم من الفضلِ والأجرِ ما لم يكُنْ للوالِدِ؛ ولذلك أدَّبَ اللهُ المسلمين مع عالِمِهم وشيخِهِم ونبيِّهِم

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رسولِ اللهِ محمدٍ ﷺ فقال: {لَا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ} [النور:٦٣].

أي: لا تنادوا الرسولَ كما ينادي بعضُكم بعضًا، فلا تقولوا: يا محمدُ؛ بل قولوا: يا رسولَ الله، يا نبيَّ الله، ونحوَ ذلك من نداءاتِ الأدبِ، والتوقيرِ، والتعظيم، ولا تتكلموا مع الرسولِ ﷺ كما يكلِّمُ بعضُكم بعضًا؛ بل التزموا الأدبَ، والاحترامَ، والتوقيرَ، والإجلالَ في مخاطبتكم للرسولِ ﷺ.

وقال الله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤﴾} [الحجرات:٢-٤].

وهذا تأديبٌ من اللهِ للمؤمنين أنهم إذا كلَّموا رسولَ اللهِ ﷺ، أو تكلموا عنده، لا يرفعون أصواتَهم، وإنما يتكلمون بأدبٍ وصوتٍ

منخفضٍ، وإذا ناديناه لا نقول: يا محمد، ولا نرفَعُ الصوتَ كما فعل جهَلةُ الأعرابِ الذين لا يعقِلون هذه الأحكامَ عن اللهِ، ويُخشى على مَن رفع صوتَه عند النبي ﷺ أن يُحبِطَ اللهُ عملَه.

فكذلك العلماءُ هم وَرَثةُ الأنبياءِ، فيجِبُ التأدُّبُ معهم كما أدَّبَ اللهُ المسلمين مع النبيِّ محمد ﷺ، وقد أشار القرطبيُّ إلى هذا المعنى في شرحِه لسورة الحجرات(١).

ولذلك لا ينبغي للطالِبِ أن يخاطِبَ شيخَه بتاءِ الخطابِ وكافِه، ولا ينادِيَه من بُعدٍ؛ بل يقول: يا شيخَنَا، يا أستاذي، يا سيِّدي، يا مُعلِّمي، يا سماحةَ الشيخِ، يا فضيلة الشيخ... إلى آخره.

ولا يكونُ جريئًا على الشيخِ أو المُعلِّمِ، فيخاطِبُه بما اعتاده في كلامِه مع الناسِ، أو مع أقرانِه.

وهذا كلُّه لا يمنَعُ الطالِبَ من سؤالِ الشيخِ والاستفسارِ عما أشكَلَ عليه؛ فإن الصحابةَ كانوا يسألون رسولَ اللهِ ﷺ فيما أشكَلَ عليهم بأدبٍ جمٍّ، فيُفتيهم(١).

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٦/ ٣٠٤).

(١٥) خدمةُ الطالبِ لشيخِه ومُعلِّمِه:

خدمةُ الطالبِ لشيخِه شرفٌ له، وشكرٌ للهِ على نعمةِ الشيخ والعلمِ والمُعلِّمِ، وفخرٌ وعزٌّ ورفعةٌ عند اللهِ تعالى.

فقد كان يوشَعُ بنُ نونٍ في خدمةِ نبي اللهِ موسى عليه السلام، وببركةِ صلاحِه وملازمتِه لموسى وتواضعِه وخدمتِه رفعَه اللهُ، وجعَلَه نبيًّا عالمًا عظيمًا.

وهذا رسولُ الله محمدٌ صلى الله عليه وسلم، وهؤلاء أصحابُه الذين آمنوا بِه، واتبَعوه، ونصروه، وفَدَوه بأنفسِهم وأموالِهم، وعادَوُا الدنيا كلَّها من أجلِه، وكانوا جميعًا خُدَّامًا له، يتقرَّبون إلى اللهِ بخدمته صلى الله عليه وسلم، من أوَّلِ الصديقِ أبي بكرٍ إلى أصغرِهم سِنًّا، فأبو بكر خدَمَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم بنفسِه ومالِه وعيالِه، وكذلك عمرُ وعثمانُ وعليٌّ وغيرُهم، ولم تكُنْ خدمةُ الصحابةِ للنبيِّ مقصورةً على الرجالِ فحسب؛ بل كانت النساءُ أيضًا في خدمتِه، فهذه أمُّ سُليمٍ بنتُ ملحانَ كانت معه في

(١) انظر: حلية طالب العلم بشرح ابن عثيمين ص٩٦، و«التذكرة» لابن جماعة صـ(١٠١ و١٣٨)، و«الجامع» للخطيب البغدادي (٨/ ١٨٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سِلمِه وحربِه، هي وزوجُها أبو طلحة، وولدُها أنسُ بنُ مالكٍ، وأختُها أمُّ حرام، وأخوها حرام، وأمُّها مُلَيْكَةُ، حتى إنها أخذت أنسًا للنبيِّ ﷺ وقالت: خُوَيْدِمُكَ أَنَسٌ، ادْعُ اللهَ لَهُ[(١)].

وقال أنسٌ: خَدَمْتُ النَّبِيَّ عَشْرَ سِنِينَ، وَاللهِ مَا قَالَ لِي: أُفًّا قَطُّ، وَلَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا؟ وَهَلَّا فَعَلْتَ كَذَا؟ [(٢)].

وقال: خرجتُ مع رسولِ الله ﷺ إلى خَيبَرَ أخدُمُه فَلَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صَلى الله عَلَيهِ وسَلمَ رَاجِعًا وَبَدَا لَهُ أُحُدٌ، قَالَ: «**هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ**»، ثُمَّ أَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى المَدِينَةِ، قَالَ: «**اللهُمَّ إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا، كَتَحْرِيمِ إِبْرَاهِيمَ مَكَّةَ، اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَمُدِّنَا**»[(٣)].

وهذا أبو موسى الأشعريُّ يخرُجُ من بيتِه ليكون خادمًا وبوَّابًا لرسولِ الله ﷺ، كما ورد في حديث:

---

(١) أخرجه أحمد (١٣٥٩٤).
(٢) أخرجه البخاري (٦٠٣٨)، ومسلم (٢٣٠٩).
(٣) أخرجه البخاري (٢٨٨٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال أبو موسى: لَأَلْزَمَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَأَكُونَنَّ مَعَهُ يَوْمِي هَذَا، قَالَ: فَجَاءَ المَسْجِدَ، فَسَأَلَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: خَرَجَ، وَجَّهَ هَاهُنَا، قَالَ فَخَرَجْتُ عَلَى أَثَرِهِ أَسْأَلُ عَنْهُ، حَتَّى دَخَلَ بِئْرَ أَرِيسٍ، قَالَ: فَجَلَسْتُ عِنْدَ البَابِ، وَبَابُهَا مِنْ جَرِيدٍ، حَتَّى قَضَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاجَتَهُ وَتَوَضَّأَ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ قَدْ جَلَسَ عَلَى بِئْرِ أَرِيسٍ وَتَوَسَّطَ قُفَّهَا، وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ، وَدَلَّاهُمَا فِي البِئْرِ، قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ فَجَلَسْتُ عِنْدَ البَابِ، فَقُلْتُ: لَأَكُونَنَّ بَوَّابَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اليَوْمَ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَدَفَعَ البَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ، قَالَ: ثُمَّ ذَهَبْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ، فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ، وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ**» قَالَ فَأَقْبَلْتُ حَتَّى قُلْتُ: لِأَبِي بَكْرٍ ادْخُلْ، وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُبَشِّرُكَ بِالجَنَّةِ، قَالَ: فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ، فَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَعَهُ فِي القُفِّ، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي البِئْرِ، كَمَا صَنَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ، ثُمَّ رَجَعْتُ

فَجَلَسْتُ، وَقَدْ تَرَكْتُ أَخِي يَتَوَضَّأُ وَيَلْحَقُنِي، فَقُلْتُ: إِنْ يُرِدِ اللهُ بِفُلَانٍ - يُرِيدُ أَخَاهُ - خَيْرًا يَأْتِ بِهِ، فَإِذَا إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ البَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ، ثُمَّ جِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ: هَذَا عُمَرُ يَسْتَأْذِنُ، فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ**». فَجِئْتُ عُمَرَ فَقُلْتُ: أَذِنَ وَيُبَشِّرُكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالجَنَّةِ، قَالَ فَدَخَلَ فَجَلَسَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي القُفِّ، عَنْ يَسَارِهِ، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي البِئْرِ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ فَقُلْتُ: إِنْ يُرِدِ اللهُ بِفُلَانٍ خَيْرًا - يَعْنِي أَخَاهُ - يَأْتِ بِهِ، فَجَاءَ إِنْسَانٌ فَحَرَّكَ البَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ، قَالَ وَجِئْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ، مَعَ بَلْوَى تُصِيبُهُ**». قَالَ فَجِئْتُ فَقُلْتُ: ادْخُلْ، وَيُبَشِّرُكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالجَنَّةِ مَعَ بَلْوَى تُصِيبُكَ، قَالَ فَدَخَلَ فَوَجَدَ القُفَّ قَدْ مُلِئَ، فَجَلَسَ وِجَاهَهُمْ مِنَ الشِّقِّ الآخَرِ(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٤)، ومسلم (٢٤٠٣).

(١٦) أدبُ الطالبِ في مجلسِ الدرسِ مع الشيخِ والمُعلِّمِ:

مجالِسُ العلمِ هي خيرُ مجالِسِ أهلِ الأرضِ، فهي مجالسُ تحفُّها الملائكةُ، وتغشاها الرحمةُ وتتنزَّلُ فيها السكينةُ، ويباهي اللهُ أهلَ السماءِ بأهلِها الحاضرين فيها؛ ولذلك كان لزومُ الأدبِ فيها واجبًا؛ لأنها مجالسُ ذكرِ اللهِ تعالى التي يُدَرَّسُ ويُعلَّمُ فيها الكتابُ والسُّنةُ بفهمِ أصحابِ النبيِّ ﷺ.

ومن أدبِ هذه المجالسِ ما يأتي:

١- إلقاءُ السلامِ على الحاضرين عند دخولِها عمومًا، وعلى الشيخِ خصوصًا، إن لم يكن في ذلك تشويشٌ على الشيخِ، ولا على الدرس.

أما إن كان فيه تشويشٌ فيُستحَبُّ أن يدخُلَ فيجلِسَ صامتًا.

٢- أن يجلِسَ حيث ينتهي به المجلِسُ، ولا يتخطى الرِّقابَ فيؤذيَ غيرَه، «**اجْلِسْ فَقَدْ آذَيْتَ، وَآنَيْتَ**»(١)، قالها النبيُّ ﷺ حينما دخل رجلٌ متأخِّرًا في خطبةِ الجُمُعةِ وأراد أن يتخطى الرِّقابَ.

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٦٧٤).

وعن جابرِ بنِ سَمُرةَ ﷺ قال: كنا إذا أتينا النبيَّ ﷺ جلس أحدُنا حيث انتهى[(١)]، فلا يتخطَّى إلا إذا كان له مجلِسٌ بالقربِ من الشيخِ معروفٌ، أو كانت هناك فرجةٌ فدخل فيها، كما ورد في حديثِ خبر الثلاثةِ.

فعن أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي المَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ، إِذْ أَقْبَلَ نَفَرٌ ثَلاثَةٌ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَذَهَبَ وَاحِدٌ، قَالَ فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي الحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللهِ، فَآوَاهُ اللهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا، فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَأَعْرَضَ، فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ**»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٨٧٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦)، ومسلم (٢١٧٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٣- لا يقيمُ أحدًا من مجلسِه ليجلِسَ فيه؛ ولكن يتفسَّحوا ليسَعَ بعضُهم بعضًا؛ لقولِ النبيِّ ﷺ: «لَا يُقِيمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَقْعَدِهِ، ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ؛ وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا وَتَوَسَّعُوا»[(١)].

٤- لا يجلسُ في موضعِ مَن قام وهو يريدُ العودةَ لمجلِسِه؛ لقولِ النبيِّ ﷺ: «مَنْ قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ»[(٢)].

٥- الحضورُ للدرسِ مبكِّرًا وقبل مجيء الشيخِ؛ استعدادًا لتلقي الدرسِ من أولِه، فالطالبُ ينتظِرُ المُعلِّمَ.

٦- الاقترابُ من الشيخِ، وحسنُ الاستماعِ والإنصات؛ لقوله ﷺ: «أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللهِ، فَآوَاهُ اللهُ»[(٣)]. ولقوله ﷺ: «مَنْ غَسَّلَ يَوْمَ الجُمُعَةِ وَاغْتَسَلَ، وَبَكَّرَ وَابْتَكَرَ، وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ، وَدَنَا مِنَ الإِمَامِ، فَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْغُ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةٍ، أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا»[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٧٧).
(٢) أخرجه مسلم (٢١٧٩).
(٣) أخرجه البخاري (٦٦)، ومسلم (٢١٧٦).
(٤) أخرجه الترمذي (٤٩٦)، وأحمد (١٦١٧٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٧-حضورُ الدرسِ على أحسنِ هيئةٍ مع إظهارِ السرور بالدرس والفرحِ به: {قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨} [يونس:٥٨]، وكما جاء جبريلُ فى أحسنِ صورةٍ لحضورِ مجلسِ العلمِ، والسؤالِ عن الإسلامِ والإيمانِ والإحسانِ، والقيامةِ وأشراطها[1].

٨- حسنُ السؤالِ؛ بأن يكونَ مفيدًا، وبقصدِ التعلُّمِ، وبعد فراغِ الشيخ من درسِه، مع حسن العبارةِ، وخفضِ الصوتِ، ونحوِ ذلك، كما فعل جبريلُ ليعلِّمَ الصحابةَ والمسلمين.

٩- عدمُ الانشغالِ عن الدرسِ بأيِّ وسيلةٍ تشوِّشُ على الطالبِ، أو غيرِه.

١٠-التأدُّبُ مع الأقرانِ في مجلسِ الدرسِ.

---

(١) أخرجه مسلم (٨).

(١٧) الدفاعُ عن الشيخِ والمعلِّمِ:

أهلُ العلمِ المخلصون الجادُّون على منهجِ السلفِ الصالح هم رؤوسُ الفرقةِ الناجيةِ، والطائفةِ المنصورةِ على لسان النبيِّ صلي الله عليه وسلم، كما قال ﷺ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ**»[(١)].

قال البخاريُّ: هم أهلُ العلمِ.

وسُئل الإمامُ أحمدُ: أهم أهلُ الحديثِ؟ قال: إن لم يكونوا أهلَ الحديث فلا أدري من هم.

وكلُّ مَن خالفهم على ما هم عليه من الحقِّ فهو عدوٌّ لهم، ولا بدَّ أن ينالَ منهم بالتنقيصِ من قدرهم وعلمهم؛ لينفِّرَ الناسَ عنهم، سواءٌ كان هؤلاء المخالفون من المسلمين أو من غير المسلمين؛ ولذلك كان الواجب على طلابِ العلم خصوصًا، والمسلمين عمومًا أن يدافعوا عن علمائهم ومشايخَهم؛ لأن الدفاعَ عن العلماءِ الرَّبَّانيِّين دفاعٌ عمَّا يحملونه عن علمٍ نافعٍ، وعملٍ صالحٍ، ومعتقدٍ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣١١)، ومسلم (١٩٢٠).

صحيحٍ، ومنهجٍ قويمٍ، فهو دفاعٌ عن الدِّينِ، وجهادٌ في سبيلِ الله تعالى، وردٌّ لعدوان المعتدين.

فعلامةُ أهلِ البدعِ الوقيعةُ في أهلِ الأثَرِ؛ أي: فى أهلِ العلم من أهل السُّنةِ والجماعةِ.

وقد دأَبَ سلفُنا الصالحُ على مرِّ التاريخِ على الدفاعِ عن علمائهم؛ نصرةً لدينِ الله تعالى، ونذكُرُ من ذلك على سبيلِ المثالِ ما يأتي:

١- دفاعُ مؤمنِ آلِ ياسينَ عن الرسلِ الثلاثةِ الذين جاؤوا بالتوحيدِ الخالصِ، فلما همَّ قومُهم بقتلِهم، انبرى هذا الرجُلُ الصالحُ للدفاعِ عنهم، فقال الله تعالى عنه: {وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾} [يس:٢٠-٢٦].

٢-دفاعُ مؤمنِ آل فرعون عن نبيِّ الله موسى عليه السلام، لما كذَّبه فرعونُ، وافترى عليه الكذبَ، وهمَّ بقتله، فقال الله تعالى: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾} [غافر:٢٨].

ثم قال الله تعالى: {فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾} [غافر:٤٥]

٣- دفاعُ الصدِّيقِ أبي بكرٍ رضي الله عنه، عن النبيِّ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، لما همَّ المشركون بقتله، فقام منافحًا ومدافعًا عن رسولِ الله، وقال لهم:

أتقتلون رجلًا أن يقولَ: ربي اللهُ!

وقد قال النبيُّ ﷺ: «**مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[١].

فإذا كان هذا فضلَ مَن ردَّ الغِيبةَ والبُهتانَ عن عِرضِ أخيه المسلِمِ، فما بالُنا بمَن ردَّ عن أعراضِ العلماءِ، وسمعتِهم، ودينِهم، ودعوتِهم.

فقد سمعنا في هذا الزمانِ مَن يطعَنُ في الصحابةِ والتابعين، ومن يطعن في الأئمَّة من بعدهم كالبخاريِّ وشيخِ الإسلامِ ابنِ تيمِيَّةَ، وابنِ عبدِ الوهابِ، وغيرِهم من المحدِّثين.

فالواجبُ على أهل السُّنةِ أن يدافِعوا عن علمائِهم، وسلفِهم الصالح، وأن يردوا على أهلِ البدعِ والإلحادِ؛ لأن الردَّ على أهلِ البدع والإلحاد والدفاع عن أهل الحقِّ؛ جهادٌ في سبيل الله.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٧٥٤٣).

الفصل الثالث
آدابُ طالبِ العلمِ مع أقرانِه وزملائِه

كان العلماءُ يحرِصون على تعلُّمِ الأدبِ قبلَ الطلبِ، فقليلٌ من الأدبِ مع شيءٍ من العلمِ خيرٌ من كثرةِ علمٍ مع ضعفِ أدبٍ.

وكان طلابُ العلمِ يحرِصون على تعلُّمِ الأدبِ من أشياخهم؛ مِن حرصِهم على تعلُّمِ العلم؛ لأن الأدبَ هو مِفتاحُ العلمِ؛ ولذلك قال شريكُ بنُ عبد الله: قليلٌ من الأدبِ خيرٌ من كثيرٍ من العِلم[(١)].

وقال مَخْلَدُ بنُ الحسينِ: نحن إلى قليلٍ من الأدبِ أحوجُ منَّا إلى كثيرٍ من الحديث[(٢)].

بل كان يجتمِعُ في مجلسِ الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ حوالي خمسةِ آلافٍ يستمِعون العلمَ، كان منهم أقلُّ من خمسِ مئةٍ يكتبون، والباقي يتعلَّمون منه حسنَ الأدَبِ، وحسنَ السمتِ[(٣)].

---

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٤/ ٣٣٥).

(٢) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ص٥٥٩.

(٣) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص٢٨٨.

ومن أدبِ طالبِ العلم مع أقرانِه وزملائه أن يبحَثَ عن رفيقٍ صالحٍ لدربه يعينُه وينصَحُ له، ويستأنِسُ به إن تيسَّرَ، ويتخِذُه بطانةً له، قال ابنُ جماعةَ في «تذكره السامع والمتكلم»: ينبغي لطالبِ العلمِ ألَّا يخالِطَ إلا من يفيدُه، أو من يستفيدُ منه. **ويقولُ**: فإن احتاج إلى أن يصحَبَه فليكُنْ صاحبًا، صالحًا، ديِّنًا، تقيًّا، ورِعًا، إن نسيَ ذكَّرَه، وإن ذكَرَ أعانه، وإن احتاج واساه، وإن ضجِرَ صبَّره.

قال عليٌّ رضي الله عنه:

فَلَا تَصْحَبْ أَخَا الجَهْلِ * وإيَّاكَ وَإيَّاهُ

فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَرْدَى* حَلِيمًا حِينَ آخَاهُ

يُقَاسُ المَرْءُ بِالمَرْءِ* إِذَا مَا المَرْءُ مَا شَاهُ

وقال الشيخُ بكرٌ أبو زيد رحمه الله في «حلية طالب العلم»:

احذَرْ قرينَ السوءِ، كما إن العِرقَ دسَّاسٌ، فإنَ أدبَ السوءِ دسَّاسٌ؛ إذ الطبيعةُ نقَّالةٌ، والطِّباعُ سَرَّاقةٌ، والناسُ كأسرابِ القَطا،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مجبولون على تشبُّهِ بعضِهم ببعضٍ، فاحذَرْ معاشرةَ مَن كان كذلك، فإنه العطَبُ، والدفعُ أسهلُ من الرفعِ.

وعليه فتخيَّرْ للزمالةِ والصداقةِ مَن يعينُك على مطلبِك، ويقرِّبُك إلى ربك، ويوافِقُك على شريفِ غرضِك ومقصَدِك.

وخذْ تقسيمَ الصديقِ في أدقِّ المعايير:

١. صديقُ منفعة. ٢. صديقُ لذة. ٣. صديقُ فضيلة.

فالأولان مُنقطِعانِ بانقطاعِ موجِبِهما، المنفعةِ في الأول، واللذَّةِ في الثاني، وأما الثالثُ فالتعويلُ عليه، وهو الذي باعِثُ صداقَتِه تبادُلُ الاعتقادِ في رسوخِ الفضائلِ لدى كلٍّ منهما.

وصديقُ الفضيلةِ هذا «عُملةٌ صعبةٌ» يعِزُّ الحصولُ عليها، ومن لطيفِ ما يفيدُ قولُ بعضِهم: العزلةُ من غيرِ عينِ العلمِ زَلةٌ، ومن غيرِ زاي الزهدِ عِلةٌ.

هذه الكلماتُ مأخوذةٌ من قولِ رسولِ الله ﷺ: «إِنَّمَا مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالجَلِيسِ السَّوْءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ، وَنَافِخِ الكِيرِ، فَحَامِلُ المِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ

رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً » (١).

وأما قولُ الشيخِ بكر في العزلة: إنها من غير عين العلمِ زلةٌ، ومن غير زاي الزهد علةٌ؛ أي: لا بدَّ من علمٍ وزهدٍ قبل أن ينعزِلَ الإنسانُ عن الناس.

وصديقُ المنفعةِ هو الذي يصحبُك لمنفعةٍ في مالٍ أو جاهٍ ونحوِ ذلك، فإذا انقضت مصلحتُه لا يعرِفُك؛ بل لعله يُعاديك.

وصديقُ اللَّذةِ: هو الذي يصحَبُك لتضيِّعَ الوقتَ في الجلوسِ، والسمَرِ، والمؤانسةِ، ولا ينفعُك بشيء.

وصديقُ الفضيلةِ هو أخوك في الله، الذي يحِبُّ لك ما يحِبُّه لنفسِه من الخيرِ، يعينُك علي الخيرِ، وينهاك عن الشرِّ، يهتمُّ لهمِّك، ويفرَحُ لفرحِك؛ ابتغاءَ مرضاتِ الله.

ومن هذه الآدابِ التي ينبغي على طالبِ العلمِ أن يتأدَّبَ بها مع زملائه وأقرانِه ما يلي:

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٠١)، ومسلم (٢٦٢٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(١) معرفةُ حقِّ المسلِمِ على أخيه المسلمِ؛ بما ورد من القرآنِ الكريمِ، وصحيح السنةِ النبويةِ، فاللهُ جل وعلا قال: {إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ... } [الحجرات: ١٠]، وقال النبيُّ ﷺ: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ...»(١).

ومن هذه الحقوقِ ما يأتي:

أ- ما ورد في حديث عائشةَ رضي الله عنها، عن النبي ﷺ أنه قال: «حَقُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ سِتٌّ». قيل: ما هن يا رسولَ اللهِ؟ قال: «إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَسَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ»(٢).

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «حَقُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ، وَتَشْمِيتُ العَاطِسِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَعِيَادَةُ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الجَنَائِزِ»(٣).

فكانت سِتًّا، وصارت سبعًا بردِّ السلامِ.

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٦٤).
(٢) أخرجه مسلم (٢١٦٢).
(٣) أخرجه البخاري (١٢٤٠)، ومسلم (٢١٦٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

(٢) أن يحِبَّ لأخيه ما يحِبُّه لنفسِه من الخير (سلامة الصدر)؛ لقول النبي ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الخَيْرِ**»(١).

(٣) التعاون البر والتقوى، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ﴾ [المائدة:٢].

(٤) الحرصُ على مذاكرتهم ومدارستهم، كما كان عليه الحالُ مع الصحابةِ الكرامِ، كهؤلاء السبعين القُرَّاء الحُفَّاظ الذين كانوا يقومون الليلَ فى مدارسة العلم.

فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رِعْلًا، وَعُصَيَّةَ، وَذَكْوَانَ، وَبَنِي لَحيَانَ أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ فَأَخبرُوهُ أَنَّهُمْ قَدْ أَسْلَمُوا، وَاسْتَمَدُّوا عَلَى قَوْمِهِمْ، فَأَمَدَّهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِسَبْعِينَ مِنَ الأَنْصارِ، قَالَ: كُنَّا نُسَمِّيهِمُ القُرَّاءَ فِي زَمَانِهِمْ، كَانُوا يَحْتَطِبُونَ بِالنَّهَارِ، وَيُصَلُّونَ بِاللَّيْلِ، حَتَّى إِذَا كَانُوا

---

(١) أخرجه أحمد (١٣١٤٦).

بِبِئْرِ مَعُونَةَ غَدَرُوا بِهِمْ فَقَتَلُوهُمْ، فَقَنَتَ النَّبِيُّ ﷺ شَهْرًا يَدْعُو عَلَى هَذِهِ الأَحْيَاءِ: عُصَيَّةَ، وَرِعْلٍ، وَذَكْوَانَ، وَبَنِي لَحْيَانَ(١).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: خَرَجَ مُعَاوِيَةُ عَلَى حَلْقَةٍ فِي المَسْجِدِ، فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ، قَالَ آللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟ قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثًا مِنِّي، وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «**مَا أَجْلَسَكُمْ؟**» قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا، قَالَ: «**آللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟**» قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: «**أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي، أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ المَلَائِكَةَ**»(٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً، فُضُلًا يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٦٤)، ومسلم (٦٧٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٠١).

ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حَتَّى يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لَا، أَيْ رَبِّ قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ القَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»[١].

قال عليٌّ رضي الله عنه: تزاوروا تذاكروا؛ فإن الحديثَ يهيجُ الحديثَ.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٨)، ومسلم (٢٦٨٩).

(٥) أن يسألَ عن صاحبِه إذا غاب، ويحرِصَ على حضورِ صاحبه مجلسَ العلمِ؛ كما سأل النبيُّ ﷺ عن قيسِ بن ثابتٍ رضي الله عنه لما غاب، وأرسل الصحابةَ يسألون عنه.

فعَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّهُ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ...﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ [الحجرات: ٢]، جَلَسَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي بَيْتِهِ، وَقَالَ: أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَاحْتَبَسَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، فَقَالَ: «**يَا أَبَا عَمْرٍو، مَا شَأْنُ ثَابِتٍ؟ اشْتَكَى؟**» قَالَ سَعْدٌ: إِنَّهُ لَجَارِي، وَمَا عَلِمْتُ لَهُ بِشَكْوَى، قَالَ: فَأَتَاهُ سَعْدٌ، فَذَكَرَ لَهُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ ثَابِتٌ: أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتًا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»(١).

(٦) أن يعينَ كلُّ واحدٍ صاحبَه على تفهُّمِ العلمِ، وشرحِ ما استغلَقَ عليه من المسائلِ، كما فعل عمرُ بنُ الخطابِ وصاحبُه في

(١) أخرجه مسلم (١١٩).

التناوُبِ فى العلمِ، وكما كان عليه حالُ السلفِ؛ كأحمدَ بنِ حنبلٍ، ويحيى بنِ مَعينٍ، والبخاريِّ ومسلمٍ وغيرِهم.

قال عمرُ رضي الله عنه: وَكَانَ لِي جَارٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَيَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا، فَيَأْتِينِي بِخَبَرِ الوَحْيِ وَغَيْرِهِ، وَآتِيهِ بِمِثْلِ ذَلِكَ[1].

(٧) أن يحذَرَ كلٌّ منهم الحسَدَ على صاحبِه، فالحسدُ يُقسِّي القلبَ، ويُذهِبُ بَرَكةَ العلمِ، وطالبُ العلمِ يتعلَّمُ ليزيلَ الجهلَ عن نفسِه وعن الآخرين، فإذا دخل الحسدُ في قلبه تُجاهَ أخيه وزميلِه؛ فهذا دليلٌ على فسادٍ في النِّيَّةِ، من حبِّ الظهورِ الذي يقصمُ الظهور.

(٨) التناوُبُ في العلم إذا عجز أحدُهم عن الحضورِ كلَّ يوم لمجلس العلمِ؛ لحديث عُمَرَ وصاحبِه السالفِ.

(٩) السؤالُ نيابةً عن أخيه إذا استحيا أخوه من السؤال؛ لعارضٍ معيَّنٍ؛ لحديث عليٍّ والمقدادِ رضي الله عنهما في المَذْيِ.

(١) أخرجه البخاري (٨٩)، ومسلم (١٤٧٩).

عن محمدِ بن الحنفيةِ، عن عليِّ بنِ أبي طالب، قال: كُنْتُ رَجُلًا مَذَّاءً وَكُنْتُ أَسْتَحْيِي أَنْ أَسْأَلَ النَّبِيَّ ﷺ لِمَكَانِ ابْنَتِهِ فَأَمَرْتُ المِقْدَادَ بْنَ الأَسْوَدِ فَسَأَلَهُ فقَالَ: «يَغْسِلُ ذَكَرَهُ وَيَتَوَضَّأُ»(١).

(١٠) **أَلَّا يتخطَّى رقابَ أصحابِه في مجلِسِ العلمِ**، ويجلِسُ حيث انتهى به المجلسُ إلا إذا كان هناك فرجةٌ في الصفِّ ومتسَعٌ، أو إذا أَذِنَ له أصحابُه، حتى لا يؤذِيَ أصحابَه؛ لحديث عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ أَنَّ رَجُلًا، جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فَقَالَ: « **اجْلِسْ فَقَدْ آذَيْتَ، وَآنَيْتَ**»(٢).

(١١) **أَلَّا يشوِّشَ عليهم في مجلِسِ الدرسِ بذكرٍ**، أو عبادةٍ برفعِ صوتِه، ونحوِ ذلك؛ لحديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: اعْتَكَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي المَسْجِدِ، فَسَمِعَهُمْ يَجْهَرُونَ بِالقِرَاءَةِ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ لَهُ، فَكَشَفَ السُّتُورَ، وَقَالَ: «**إِنَّ كُلَّكُمْ مُنَاجٍ رَبَّهُ، فَلَا يُؤْذِيَنَّ بَعْضُكُمْ**

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٢)، ومسلم (٣٠٣).

(٢) أخرجه أحمد (١٧٦٧٤).

بَعْضًا، وَلَا يَرْفَعَنَّ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالقِرَاءَةِ»، أَوْ قَالَ: «فِي الصَّلَاةِ»[(١)].

(١٢) أَلَّا يؤذيَهم برائحةٍ كريهةٍ؛ فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ البَقْلَةِ، الثُّومِ - وقَالَ مَرَّةً: مَنْ أَكَلَ البَصَلَ وَالثُّومَ وَالكُرَّاثَ- فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ المَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ»[(٢)].

وَفِي رِوَايَةِ حَرْمَلَةَ: وَزَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا، فَلْيَعْتَزِلْنَا أَوْ لِيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا، وَلْيَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ»[(٣)].

(١٣) أن يتأدَّبَ مع أصحابِه ورفقائِه، وأن يكون رفيقًا بهم، ومعهم بما تعلَّمه من أخلاقٍ حميدةٍ.

(١٤) المنافسةُ المشروعةُ في طلب العلمِ والتسابُقُ في فعلِ الخيراتِ؛ لقول الله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَافِسُونَ ۝٢٦﴾

---

(١) أخرجه أحمد (١١٨٩٦).

(٢) أخرجه مسلم (٥٦٤).

(٣) أخرجه البخاري (٧٣٥٩)، ومسلم (٥٦٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

[المطففين:٢٦]، ولقوله سبحانه {سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ}، {۞وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣} [آل عمران:١٣٣]، {فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ....} [البقرة:١٤٨].

ولقولِ النبيِّ ﷺ: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ**»(١).

فالمنافسةُ المشروعةُ هي المبادرةُ إلى الكمالِ الذي تشاهِدُه في غيرِك فتنافِسُه فيه، حتى تلحَقَه أو تسبِقَه، مع تمنِّي كمالِ الخيرِ له، فهذا من شرفِ النفسِ، وعلوِّ الهِمَّةِ، وكبَرِ القَدرِ، وأصلُ التنافسِ من الشيءِ النفيسِ، فأصحابُ النفوسِ النفيسةِ الطيِّبةِ يتسابقون في فعل الخيراتِ، ويُعينُ بعضُهم بعضًا على ذلك بنفسٍ طيبةٍ وحبٍّ في الله تعالى، فهذا أبو بكرٍ وعمرُ رضي الله عنهما كان يتنافسان في عملِ الصالحات،

---

(١) سبق تخريجه.

حتى قال عمرُ: واللهِ لا أسابِقُك إلى شيءٍ أبدًا، وقال: واللهِ ما سابقته إلى خيرٍ إلا وجدتُّه قد سبَقَني إليه.

ومثالُه أيضًا: تسابقُ معاذِ بنِ عَفْراءَ ومعاذِ بنِ عمرِو بنِ الجَموحِ في قتلِ أبي جهلٍ، حتى قتلاه جميعًا، فعن عبدِ الرحمن بنِ عوف قال: بينا أنا واقفٌ في الصفِّ يوم بدرٍ، فنظرت عن يميني وعن شمالي، فإذا أنا بغلامينِ من الأنصارِ حديثةٍ أسنانُهما، تمَنَّيتُ أن أكونَ بين أضلَعَ منهما، فغمَزَني أحدُهما فقال: يا عمِّ، هل تعرِفُ أبا جهلٍ؟ قلتُ: نعم، ما حاجتُك إليه يا ابنَ أخي؟ قال: أُخبِرتُ أنه يسُبُّ رسولَ اللهِ ﷺ، والذي نفسي بيدِه، لئن رأيتُه لا يفارِقُ سوادي سوادَه حتى يموتَ الأعجلُ منَّا، فتعجَّبتُ لذلك، فغمزني الآخَرُ، فقال لي مثلَها، فلم أنشَبْ أن نظَرتُ إلى أبي جهلٍ يجولُ في الناسِ، قلتُ: ألَا إنَّ هذا صاحبُكما الذي سألتماني، فابتدراه بسيفَيْهِما، فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسولِ الله ﷺ، فأخبراه فقال: «**أَيُّكُمَا قَتَلَهُ؟**» قال كلُّ واحدٍ منهما: أنا قتَلتُه، فقال: «**هَلْ مَسَحْتُمَا**

سَيْفَيْكُمَا؟» قالا: لا. فنظر في السيفينِ، فقال: «كِلاكُمَا قَتَلَهُ، سَلَبُهُ لِمُعاذِ بنِ عمرِو بنِ الجَمُوحِ»[١].

ومثالُه: تنافُسُ الصحابةِ في خدمةِ الرسولِ ﷺ، وحراستِه والدفاع عنه، وملازمتِه وحملِ العلمِ عنه كأبي هريرةَ، وابنِ عمر، وابنِ عمرٍو، وجابرٍ، وأنسٍ رضي الله عنهم.

(١٥) إذا اختلفوا في فَهمِ مسألةٍ رجعوا إلى عالِمِهم:

اختلف أبو بكرٍ وعمرُ رضي الله عنهما فيمن يتأمَّرُ على بني تميمٍ، فعن ابنِ أبي مُلَيكَةَ، أن عبدَ اللهِ بنَ الزبيرِ أخبرهم: أنه قدِمَ ركبٌ من بني تميمٍ على النبيِّ ﷺ، فقال أبو بكرٍ: أمِّرِ القَعقاعَ بنَ معبدِ بن زُرارةَ، قال عمرُ: بل أَمِّرِ الأقرعَ بنَ حابسٍ. قال أبو بكرٍ: ما أردتَّ إلا خلافي. قال عمرُ: ما أردتُّ خلافَك، فتماريا حتى ارتَفَعتْ أصواتُهُما، فنزل في ذلك: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾ [الحجرات: ١] حتى انقضت[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٤١)، ومسلم (١٧٥٢).

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٦٧).

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ نَوْفًا البِكَالِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى ﷺ، صَاحِبَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَيْسَ هُوَ مُوسَى صَاحِبَ الخَضِرِ، ﷺ، فَقَالَ: كَذَبَ عَدُوُّ اللهِ، سَمِعْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «قَامَ مُوسَى ﷺ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ، قَالَ فَعَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ العِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ البَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، قَالَ مُوسَى: أَيْ رَبِّ كَيْفَ لِي بِهِ؟ فَقِيلَ لَهُ: احْمِلْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ، فَحَيْثُ تَفْقِدُ الحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ، فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقَ مَعَهُ فَتَاهُ، وَهُوَ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ، فَحَمَلَ مُوسَى ﷺ، حُوتًا فِي مِكْتَلٍ وَانْطَلَقَ هُوَ وَفَتَاهُ يَمْشِيَانِ حَتَّى أَتَيَا الصَّخْرَةَ، فَرَقَدَ مُوسَى ﷺ وَفَتَاهُ، فَاضْطَرَبَ الحُوتُ فِي المِكْتَلِ، حَتَّى خَرَجَ مِنَ المِكْتَلِ، فَسَقَطَ فِي البَحْرِ، قَالَ وَأَمْسَكَ اللهُ عَنْهُ جِرْيَةَ المَاءِ حَتَّى كَانَ مِثْلَ الطَّاقِ، فَكَانَ لِلْحُوتِ سَرَبًا، وَكَانَ لِمُوسَى وَفَتَاهُ عَجَبًا، فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمَا وَلَيْلَتِهِمَا، وَنَسِيَ صَاحِبُ مُوسَى أَنْ يُخْبِرَهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ مُوسَى ﷺ، قَالَ لِفَتَاهُ: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾، قَالَ وَلَمْ

يَنْصَبْ حَتَّى جَاوَزَ المَكَانَ الَّذِي أُمِرَ بِهِ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ، فَإِنِّي نَسِيتُ الحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ عَجَبًا، قَالَ مُوسَى: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ٦٤﴾، قَالَ يَقُصَّانِ آثَارَهُمَا، حَتَّى أَتَيَا الصَّخْرَةَ، فَرَأَى رَجُلًا مُسَجًّى عَلَيْهِ بِثَوْبٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى، فَقَالَ لَهُ الخَضِرُ: أَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلَامُ؟ قَالَ: أَنَا مُوسَى، قَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ [ص:١٨٤٩] قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: إِنَّكَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَكَهُ اللهُ لَا أَعْلَمُهُ، وَأَنَا عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَنِيهِ لَا تَعْلَمُهُ، قَالَ لَهُ مُوسَى عليه السلام: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ٦٦ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٦٧ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ٦٨ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ٦٩﴾. قَالَ لَهُ الخَضِرُ: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ٧٠﴾. قَالَ: نَعَمْ، فَانْطَلَقَ الخَضِرُ وَمُوسَى يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ البَحْرِ، فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ، فَكَلَّمَاهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمَا، فَعَرَفُوا الخَضِرَ فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ، فَعَمَدَ الخَضِرُ إِلَى

لَوْحٍ مِنْ أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ فَنَزَعَهُ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ، عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾، ثُمَّ خَرَجَا مِنَ السَّفِينَةِ، فَبَيْنَمَا هُمَا يَمْشِيَانِ عَلَى السَّاحِلِ إِذَا غُلَامٌ يَلْعَبُ مَعَ الغِلْمَانِ، فَأَخَذَ الخَضِرُ بِرَأْسِهِ، فَاقْتَلَعَهُ بِيَدِهِ، فَقَتَلَهُ، فَقَالَ مُوسَى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾. قَالَ: وَهَذِهِ أَشَدُّ مِنَ الأُولَى، ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾. يَقُولُ: مَائِلٌ، قَالَ الخَضِرُ بِيَدِهِ هَكَذَا فَأَقَامَهُ، قَالَ لَهُ مُوسَى: قَوْمٌ أَتَيْنَاهُمْ فَلَمْ يُضَيِّفُونَا وَلَمْ يُطْعِمُونَا، لَوْ شِئْتَ لَتَخِذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا، قَالَ: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى، لَوَدِدْتُ أَنَّهُ كَانَ صَبَرَ حَتَّى

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يُقصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَخْبَارِهِمَا»، قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَانَتِ الأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا»، قَالَ: «وَجَاءَ عُصْفُورٌ حَتَّى وَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ، ثُمَّ نَقَرَ فِي البَحْرِ، فَقَالَ لَهُ الخَضِرُ: مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلَّا مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا العُصْفُورُ مِنَ البَحْرِ»(١).

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣﴾ [النساء:٨٣].

وعَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: اخْتَلَفَ فِي ذَلِكَ رَهْطٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ، وَالأَنْصَارِ فَقَالَ الأَنْصَارِيُّونَ: لَا يَجِبُ الغُسْلُ إِلَّا مِنَ الدَّفْقِ أَوْ مِنَ المَاءِ. وَقَالَ المُهَاجِرُونَ: بَلْ إِذَا خَالَطَ فَقَدْ وَجَبَ الغُسْلُ. قَالَ: قَالَ أَبُو مُوسَى: فَأَنَا أَشْفِيكُمْ مِنْ ذَلِكَ فَقُمْتُ فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَأُذِنَ لِي، فَقُلْتُ لَهَا: يَا أُمَّاهْ- أَوْ: يَا أُمَّ المُؤْمِنِينَ- إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكِ عَنْ شَيْءٍ وَإِنِّي أَسْتَحْيِيكِ، فَقَالَتْ: لَا تَسْتَحْيِي أَنْ تَسْأَلَنِي عَمَّا كُنْتَ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٠١)، ومسلم (٢٣٨٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

سَائِلًا عَنْهُ أُمَّكَ الَّتِي وَلَدَتْكَ، فَإِنَّمَا أَنَا أُمُّكَ، قُلْتُ: فَمَا يُوجِبُ الغُسْلَ؟ قَالَتْ عَلَى الخَبِيرِ سَقَطْتَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا جَلَسَ بَيْنَ شُعَبِهَا الأَرْبَعِ وَمَسَّ الخِتَانُ الخِتَانَ فَقَدْ وَجَبَ الغُسْلُ»(١).

(١٦) الإصلاحُ بين المتشاحنينَ أو المتهاجرينَ منهم:

لقولِ النبيِّ ﷺ: «اذْهَبُوا بِنَا نُصْلِحْ بَيْنَهُمْ»(٢).

وقال ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصَّلَاةِ، وَالصِّيَامِ، وَالصَّدَقَةِ؟ قَالُوا: بَلَى قَالَ: «إِصْلَاحُ ذَاتِ البَيْنِ». قَالَ: «وَفَسَادُ ذَاتِ البَيْنِ هِيَ الحَالِقَةُ»(٣).

والشيطانُ جالسٌ للتحريشِ بين المؤمنين والوقيعةِ بينهم، فعن عبدِ الله بن كعبِ بن مالك، عن كعبٍ رضي الله عنه: أنه تقاضى ابنَ أبي حَدْرَدٍ دَيْنًا كان له عليه في المسجدِ، فارتفعت أصواتُهما حتى سمِعَها رسولُ الله ﷺ وهو في بيتِه، فخرج إليهما حتى كشف سِجْفَ

---

(١) أخرجه مسلم (٣٤٩).
(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٣).
(٣) أخرجه أحمد (٢٧٥٠٨).

حُجرتِه، فنادى: «يَا كَعْبُ»، قال: لبيك يا رسولَ اللهِ، قال: «ضَعْ مِنْ دَيْنَكَ هَذَا»، فأومأ إليه – أي: الشطرَ – قال: لقد فعلتُ يا رسول الله، قال: «قُمْ فَاقْضِهِ»(١).

(١٧) المسلمُ أخو المسلمِ لا يظلِمُه ولا يحقره:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا»(٢).

وأيضًا فيه النهيُ عن التحاسدِ، والتباغضِ، والتدابرِ بين المسلمين عمومًا، وطلبةِ العلمِ خصوصًا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا». ويُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٦٦)، ومسلم (٢٥٥٩).

يَحْقِرَ أَخَاهُ المُسْلِمَ، كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»(١).

قال النوويُّ رحمه الله: ما أعظمَ نفعِ هذا الحديث، وأكثرَ فوائدِه(٢)!

بل هو من جوامعِ كلِمه ﷺ.

وقال ابنُ حجرٍ الهَيتميُّ رحمه الله: هذا حديثٌ كثيرُ الفؤائدِ، مشيرٌ إلى جُلِّ المبادئ والمقاصدِ؛ بل هو عند تأمُّلِ معناه، وفهمِ مغزاه حاوٍ لجميعِ أحكامِ الإسلامِ منطوقًا ومفهومًا، ومشتمِلٌ على جميعِ الآدابِ أيضًا إيماءً وتحقيقًا(٣).

سببُ هذا الحديث:

عن سُوَيدِ بنِ حنظلةَ قال: خرجنا نريدُ رسولَ الله ﷺ، ومعنا وائلُ بنُ حُجرٍ، فأخذه عدوٌّ له، فتحرَّجَ القومُ أن يحلِفوا، وحلَفتُ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

(٢) الأذكار للنووي ص ٤٢٦.

(٣) الفتح المبين ص ٢٨٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أنه أخي فخُلِّيَ سبيلُه، فأتينا رسولَ الله ﷺ، فأخبرتُه أن القومَ تحرَّجوا أن يحلِفوا، وحلَفتُ أنه أخي، فقال: «**صَدَقْتَ، المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ**».

وأخرجه أحمدُ عن سُوَيدِ بنِ حنظلةَ بنحوِه، ولفظُه: «**كُنْتَ أَبَرَّهُمْ وَأَصْدَقَهُمْ، صَدَقْتَ، المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ**»[(١)].

معاني كلمات الحديث:

«**لا تَحاسَدُوا**»؛ أي: لا يتمَنَّ أحدُكم زوالَ النعمةِ عن أخيه المسلمِ، ولا يكرَهْ له الخيرَ.

والحسدُ اعتراضٌ على قسمةِ الله تعالى، وهو صفةُ اليهودِ، والمشركين، والمنافقين، والشيطانِ الرجيمِ، وهو جمرةٌ في قلب الحاسدِ تغلي في دمِه؛ كُرهًا أن يفوقَه أحدٌ من جنسِه في شيء من الفضائلِ.

والحسدُ نوعان: مذمومٌ؛ وهو المنهيُّ عنه، المذكورُ في هذا الحديثِ. ومحمودٌ، وهو الغِبطةُ؛ بمعنى تمنِّي دوامِ النعمةِ وزيادتِها

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٧٢٦).

لأخيه المسلم، مع تمني نوالِ مثلِها من اللهِ؛ ليعمَلَ فيها بالعملِ الصالحِ كأخيه المسلمِ، وهي في شيئين: في القرآنِ والعلمِ والعبادةِ، وفي المالِ وإنفاقِه في سبيل الخيرِ؛ لحديث: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ...**»[(١)].

«**لا تناجشوا**»: النَّجشُ: هو نفعُ البائعِ والإضرارُ بالمشتري، وهو طريقةُ إثارةٍ وتحفيزٍ وإغراءٍ للمشتري بأن يأخُذَ السلعةَ بثمنٍ مرتفِعٍ، وهناك ثلاثةُ أطرافٍ: البائعُ، والمشتري، والناجشُ.

والتباغضُ بين المسلمين يورِثُ الظلمَ، والقطيعةَ، والكراهيةَ، وإفسادَ ذاتِ البينِ.

«**لا تدابروا**»؛ أي: لا يُعرِضْ أحدُكم عن أخيه، ويعطيه ظهرَه، فالتدابُرُ هجرُ المسلمِ لأخيه المسلمِ وبغضُه، وهذا لا يحِلُّ أكثرَ من ثلاثٍ.

«**لا يظلِمُه**»؛ أي: لا يهضِمُ حقَّه في نفسٍ، أو عِرضٍ، أو مالٍ.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٥).

«**لا يخذُلُه**»؛ أي: لا يتخلَّى عن نصرِه بالحقِّ عند اللزومِ والقدرةِ.

«**لا يحقِرُه**»؛ أي: لا يستصغِرُ شأنَه، ويضَعُ من قَدرِه، ولا يسخَرُ منه.

«**عِرضُه**»: العِرضُ هو موضعُ المدحِ والذمِّ من الإنسان، وهو سمعةُ الإنسانِ.

«**وَلَا يَبِع بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ**»، بأن تتمَّ الصفقةُ بين البائعِ والمشتري، فيأتي طرَفٌ ثالثٌ يزيدُ في ثمنِ السلعة؛ ليأخُذَها هو بعد عقدِ بيعِها، وكذلك يكونُ في زمنِ خيارِ المجلسِ، أو خيارِ الشرطِ.

«**وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا**»؛ بالحبِّ، والمودةِ، والرفقِ والتعاونِ على الخير، وبذلِ النصحِ، وصفاءِ القلوب، ونحوِ ذلك من ألوانِ البِرِّ والصلةِ.

«**المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ**»؛ أي: في الدين: {إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} [الحجرات: ١٠].

«**لا يَظْلِمُه**»؛ أي: لا يتعدَّى عليه في نفسِه، أو مالِه، أو عِرضِه، ولا يضرُّه.

«**وَلَا يَخْذُلُهُ**»: في مقامٍ يجِبُّ أن ينصرَه فيه.

«**وَلَا يَكْذِبُهُ**»؛ أي: يكونُ صادقًا معه، ولا يكذِبُ عليه؛ لأنه غشٌّ وخيانةٌ.

«**وَلَا يَحْقِرُهُ**»؛ أي: لا يستهينُ به، ولا ينظرُ إليه بعينِ الاحتقارِ.

«**التَّقْوَى هَهُنَا**»؛ أي: محلُّها القلبُ، وهي فعلُ الأوامرِ، واجتنابُ النواهي.

فالقلبُ ملكُ البدنِ، وهو المضغةُ التي إذا صلَحتْ بالتقوى صلَح البدنُ كلُّه، وإذا فسدت بالمعاصي فسد الجسدُ كلُّه.

«**بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ**»؛ أي: يكفيه شرًّا وفسادًا، وكِبرًا وانحرافًا أن يحتقِرَ أخاه المسلمَ، أو يتكبَّرَ عليه، فهذا دليلُ فسادِ المحتقِر، ودليلُ تكبُّرِه بغيرِ الحقِّ، قال النبيُّ ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**»(١).

---

(١) أخرجه مسلم (٩١).

«كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ»؛ أي: لا يجوزُ له أن يتعدَّى عليه في نفسِه بالقتل، والضرب، والأذى، ونحوِ ذلك.

ولا يتعدَّى على مالِه بأخذِه بغيرِ حقٍّ بسرقةٍ، أو نهبٍ، أو غيرِ ذلك، ولا يتعدى على عرضِه بغيبةٍ أو بهتانٍ، أو سبٍّ أو شتمٍ، أو قذفٍ، ونحوِ ذلك.

الفصل الرابع
آدابُ طالبِ العلمِ مع عامةِ الناس

هناك عدةُ آدابٍ ينبغي على طالب العلمِ الحريصِ على الخير والهدى أن يحرِصَ عليها مع عامة الناس، في تعاملِه معهم، ومنها:

١ . تعليمُهم وبذلُ النصحِ لهم:

فثمرةُ تعلُّمِ العلمِ هي العملُ به، وتبليغُه للآخرين، قال تعالى: {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾} [الشعراء:٢١٤]، وقال تعالى: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا} [التحريم:٦] وقال تعالى: {۞وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾} [التوبة:١٢٢].

وقال تعالى: {وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ}، وقال: {رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ} [النساء:١٦٥]. وقال تعالى عن عيسى عليه السلام: {وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ} [مريم:٣١].

وقال النبيُّ ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»(١).

وفي ذلك فضيلةُ الفقهِ في الدين، وفضيلةُ تعليمِه للناس، ونشرِه بينهم.

قال ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الوَالِدِ أُعَلِّمُكُمْ»(٢).

وقال ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»، وقال ﷺ عن جبريلَ عليه السلام: «أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»(٣).

٢- **أن يحدِّثَ الناسَ بما يعرِفون**؛ أي: بما يفهمونه ويعقلونه، لا يحدِّثهم بشيءٍ لا تدركه عقولُهم.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه أبو داود (٨).

(٣) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (١).

قال ابنُ مسعود ﵁: ما أنت بمحدِّثٍ قومًا حديثًا لا تبلُغُه عقولُهم؛ إلا كان لبعضِهم فتنةً(١).

و قال عليُّ بنُ أبي طالب: حدِّثوا الناسَ بما يعرِفون، أتحبُّون أن يكذَّبَ اللهُ ورسولُه.

وبوَّبُ البخاريُّ على هذا الأثرِ قائلًا: بابُ من خصَّ بالعلمِ قومًا دون قومٍ؛ كراهيةَ ألَّا يفهموا(٢).

وقد دلَّ على ذلك نصوصُ الكتابِ والسُّنةِ؛ قال الله تعالى: {وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ۝٧٩} [آل عمران:٧٩]، والرَّبَّانيُّ: هو الذي يُعلِّمُ صغارَ العلمِ قبل كبارِه.

وقال النبيُّ ﷺ لعائشةَ ﵂: «لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُو عَهْدٍ بِشِرْكٍ، لَهَدَمْتُ الكَعْبَةَ، فَأَلْزَقْتُهَا بِالأَرْضِ، وَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ: بَابًا شَرْقِيًّا،

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ١١).

(٢) البخاري (١/ ٣٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَبَابًا غَرْبِيًّا، وَزِدْتُ فِيهَا سِتَّةَ أَذْرُعٍ مِنَ الحِجْرِ، فَإِنَّ قُرَيْشًا اقْتَصَرَتْهَا حَيْثُ بَنَتِ الكَعْبَةَ»[(١)].

راعى النبيُّ ﷺ حالَ الناسِ وقتَها، ولم يفعل؛ اتقاءَ الفتنِ.

وقال لمعاذٍ: «لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا»؛ أى: دعهم فى اجتهادِهم فى عبادتِهم، ولا تخبِرْهم بذلك فيقصِّروا، فعن معاذ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى حِمَارٍ، يُقَالُ لَهُ: عُفَيْرٌ، قَالَ: فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى العِبَادِ؟ وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللهِ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ العِبَادِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا».

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٣٣).

وعن أَبي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كُنَّا قُعُودًا حَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ فِي نَفَرٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا، فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا، وَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا، وَفَزِعْنَا، فَقُمْنَا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رَسُولَ اللهِ ﷺ حَتَّى أَتَيْتُ حَائِطًا لِلْأَنْصَارِ لِبَنِي النَّجَّارِ، فَدُرْتُ بِهِ هَلْ أَجِدُ لَهُ بَابًا؟ فَلَمْ أَجِدْ، فَإِذَا رَبِيعٌ يَدْخُلُ فِي جَوْفِ حَائِطٍ مِنْ بِئْرٍ خَارِجَةٍ - وَالرَّبِيعُ الْجَدْوَلُ - فَاحْتَفَزْتُ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**أَبُو هُرَيْرَةَ؟**» فَقُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**مَا شَأْنُكَ؟**» قُلْتُ: كُنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، فَقُمْتَ فَأَبْطَأْتَ عَلَيْنَا، فَخَشِينَا أَنْ تُقْتَطَعَ دُونَنَا، فَفَزِعْنَا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فَأَتَيْتُ هَذَا الْحَائِطَ، فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ، وَهَؤُلَاءِ النَّاسُ وَرَائِي، فَقَالَ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ**» وَأَعْطَانِي نَعْلَيْهِ، قَالَ: «**اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**»، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيتُ عُمَرُ، فَقَالَ: مَا هَاتَانِ النَّعْلَانِ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ فَقُلْتُ: هَاتَانِ نَعْلَا رَسُولِ اللهِ ﷺ، بَعَثَنِي بِهِمَا مَنْ لَقِيتُ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، بَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَضرَبَ عُمَرُ بِيَدِهِ بَيْنَ ثَدْيَيَّ فَخَرَرْتُ لِاسْتِي، فَقَالَ: ارْجِعْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَجْهَشْتُ بُكَاءً، وَرَكِبَنِي عُمَرُ، فَإِذَا هُوَ عَلَى أَثَرِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا لَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟**» قُلْتُ: لَقِيتُ عُمَرَ، فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي بَعَثْتَنِي بِهِ، فَضَرَبَ بَيْنَ ثَدْيَيَّ ضَرْبَةً خَرَرْتُ لِاسْتِي، قَالَ: ارْجِعْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا عُمَرُ، مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ؟**» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، بِأَبِي أَنْتَ، وَأُمِّي، أَبَعَثْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ بِنَعْلَيْكَ، مَنْ لَقِيَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ بَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: فَلَا تَفْعَلْ، فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَتَّكِلَ النَّاسُ عَلَيْهَا، فَخَلِّهِمْ يَعْمَلُونَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَخَلِّهِمْ**»[(١)].

وندم أنسٌ رضي الله عنه على تحديثِه الحَجَّاجَ بحديث العُرَنِيِّين الذين قتلَهم رسولُ اللهِ ﷺ وقطَّع أيديَهم وأرجلَهم من خلافٍ، وسمَلَ أعينَهم بالمسامير المحماة بالنار؛ لأن الحَجَّاجَ يأخُذُه حجةً له على سفكِ دماءٍ لا تحِلُّ.

---

(١) أخرجه مسلم (٣١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

كان ثابتٌ البُنَانيُّ يحدِّثُ في بيتِ الحسنِ، والحسنُ شاهدٌ، قال ثابتٌ: حدثنا أنسُ بنُ مالكٍ أنَّ الحجاجَ بنَ يوسفَ لما قدِمَ العراقَ أرسل إليه، فقال: يا أبا حمزةَ، إنك رجلٌ قد صحِبت رسولَ اللهِ ﷺ، ورأيتَ عمَلَه وسبيلَه ومِنهاجَه، وهذا خاتمي فليكنْ في يدِكَ، فلا أعملُ شيئًا إلّا بأمرِكَ... وذكر الحديثَ. قال: يا أبا حمزةَ، أخبِرْني بأشدِّ عقوبةٍ عاقَبَ بها رسولُ اللهِ ﷺ. قال: قدِمَ ناسٌ من أهلِ الحجازِ على رسولِ اللهِ ﷺ، بهم جَهْدٌ وضُرٌّ، فقالوا: يا رسول اللهِ آوِنا، وأنفِقْ علينا مما رزقك اللهُ. قال: فآواهم وأنفَقَ عليهم حتى صلَحوا. فقالوا: يا رسولَ اللهِ، لو نحَّيتَنا عن المدينةِ فإنها أرضٌ وَخِمَةٌ. فنحّاهم إلى جانبِ الحرَّةِ في ذودِ (راعٍ) مِن المسلمين، وكانوا يصيبون من ألبانها، فسوَّلتْ لهم أنفسُهم، فقتلوا الراعي، واستاقوا الذَّوْدَ، كفروا بعدَ إسلامِهم. فأَتى رسولَ اللهِ ﷺ الصريخُ، فبعث في آثارِهم، فأُتِيَ بِهم، فقطَعَ أيديَهم وأرجلَهم، وسمَلَ أعينَهم. قال أنسٌ: ولقد رأيتُ أحدَهم فاغرًا فاه يَعَضُّ الأرضَ ليجِدَ من بردِها، مما يجِدُ من الحرِّ والشِّدَّة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال: فوثَبَ الحجّاجُ، فقال: رسولُ الله ﷺ قتلَ على ذَوْدٍ، وقطعَ الأيديَ والأرجلَ، وسَمَلَ الأَعْيُنَ، ونحنُ لا نقتُلُ في معصيةِ اللهِ؟!

قال الحسنُ: ولا يذكُرُ عدوُّ اللهِ أنَّهم حاربوا اللهَ ورسولَه، وكفروا بعد إسلامِهم، وقتلوا النفسَ التي حرَّمَ اللهُ، وسرقوا.

قال: فلقد رأيتُ الحسنَ يعرِضُ بوجِهِه، ويَتَمَعَّرُ وجْهُهُ، وثابتٌ يحدِّثُ الحديثَ، والحسنُ يعرِضُ بوجهه يمينًا وشمالًا؛ كراهيةً، كأنما يُلْطَمُ وجْهُهُ[(١)].

وكرِه أبو يوسفَ صاحبُ أبي حنيفةَ تحديثَ الناسِ بالغرائب.

وكره مالكٌ تحديثَ العوام بأحاديثِ الصفاتِ[(٢)].

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: إني أحفَظُ وعاءين من العلمِ، فأما أحدُهما فبَثَثتُه، وأما الآخَرُ فلو بَثَثتُه قُطِعَ هذا البلعومُ[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري(٤١٩٣)، ومسلم(١٦٧١)، وأبو عوانة في «المستخرج» واللفظ له (٦٥٤٥).

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (١/ ٢٢٥).

(٣) أخرجه البخاري (١٢٠).

فمن فقهِه أنه لا يحدِّثُ الناسَ بكلِّ ما عندَه من العلمِ؛ بل يراعي مقتضى الحال؛ بل ويحدِّث كلَّ إنسان بما يناسبُه، وهذا من الحكمةِ، والبصيرةِ في الدين.

٣- الرحمةُ بهم وإظهارُ الشفقةِ عليهم:

قال الله تعالى عن رسولِه ﷺ العالِمِ المُعلِّمِ الداعي إلى الله: {لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾} [التوبة:١٢٨].

وقال تعالى: {كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ} ؛أي: حلماءَ علماءَ.

وقال النبيُّ ﷺ: «مَنْ لَا يَرْحَمِ النَّاسَ، لَا يَرْحَمْهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ»(١).

وقال شيخُ الإسلام ابن تيمية: أهلُ السنةِ هم أعلَمُ الناسِ بالحقِّ، وأرحَمُهم بالخلقِ(٢).

والأمثلةُ من السُّنة على ذلك كثيرةٌ، منها:

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٧٦)، ومسلم (٢٣١٩).

(٢) انظر: «منهاج السنة» (٥/ ١٥٨).

أ) حديث الشاب الذي يريد الزنى:

فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ مَهْ قَالَ: **ادْنُهْ فَدَنَا** مِنْهُ قَرِيبًا قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: **أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟** قَالَ: لَا وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ، قَالَ: **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ** قَالَ: **أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟** قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ، قَالَ: **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ** قَالَ: **أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟** قَالَ: لَا وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ، قَالَ: **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ** قَالَ: **أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟** قَالَ: لَا وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ، قَالَ: **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ** قَالَ: **أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟** قَالَ: لَا وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ، قَالَ: **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ** قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: **اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ** قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ[(١)].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٦٤١).

ب) الأعرابي الذي بال في المسجد:

عن أنس بنِ مالكٍ ﵁: أنَّ أعرابيًّا بال في المسجد، فقاموا إليه، فقال رسولُ الله ﷺ: «**لَا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ**». فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: «**إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ**». أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: فَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ[1].

٤- إلقاءُ السلامِ وردُّه، والبشاشةُ في وجوهِ الناسِ:

وقد ورد في فضلِ ذلك كلِّه أحاديثُ صحيحةٌ كثيرةٌ فلنتُظَر، فمنها: «**تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ**»[2].

وقال سفيانُ بنُ عتبةَ: البشاشةُ مصيدةُ المودةِ، والبِرُّ شيءٌ هيِّنٌ، وجهٌ طليقٌ وكلامٌ ليِّنٌ.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٢٥)، ومسلم (٢٨٤).

(٢) أخرجه الترمذي (١٩٥٦).

٥- ألَّا يضعَ نفسَه في موقف يُذَلُّ فيه العلمُ وأهلُه:

فطالبُ العلمِ سفيرٌ العلم والعلماء، فينبغي أن يكون قدوةً حسنةً، في صورةٍ مشرقةٍ مشرِّفةٍ، فلا بد أن يتجنَّبَ ما يخدِشُ جمالَ هذه الصورةِ، سواءٌ في جوهرِه، أومظهرِه، أو كلامِه، أو فِعالِه، فينبغي أن يكونَ نظيفًا حسَنَ المظهَرِ، ذا رائحةٍ طيبةٍ، ملتزمًا سننَ الفطرةِ من إعفاءِ اللحيةِ، وقصِّ الشاربِ، وقصِّ الأظافرِ، والتزامِ السِّواكِ، والعفَّةِ والحياءِ والرجولةِ، والتزامِ المرأةِ بالحجابِ، ونحوِ ذلك، وأن يراعيَ حشمةَ العلمِ وهيبتَه، بعيدًا عما يخرِمُ مروءتَه.

٦- البعدُ عن مجالسِ اللغوِ واللغطِ:

من القيلِ والقالِ، والغِيبةِ والنميمةِ، والبهتانِ، والفحشِ، والفجورِ، ومشاهدةِ وسماعِ المحرمات، والاستهزاءِ بالدينِ وأهلِه، والسخريةِ بالآخرين، ونحوِ ذلك من مجالس الغناءِ والموسيقى، وشربِ المحرمات، ولا يجالسُ أصحابَ العقولِ الضعيفةِ، والأدبِ السيِّئ، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣﴾ [الفرقان:٦٣]،

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ٧٢﴾ [الفرقان:٧٢].

قال الفُضَيلُ بنُ عِياضٍ: حامِلُ القرآنِ حاملُ رايةِ الإسلامِ، لا ينبغي له أن يلهوَ مع من يلهو، ولا أن يلغُوَ مع من يلغو؛ لأنه حاملُ رايةِ الإسلامِ.

ولذلك قال النبيُّ ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَهَيْشَاتِ الأَسْوَاقِ**»[(١)]؛ أي: اختلاطَها، وما يكونُ فيها من الفتنِ، وارتفاعِ الأصواتِ.

فلا يليقُ بطالبِ العلم أن يجلِسَ على المقهى، أو (الكافيه) المحفوف بالموسيقى، والضمنة، والكوتشينة، واختلاطِ الرجالِ بالنساءِ، والشيشةِ والحشيشةِ، والأفلامِ والمسلسلات... إلى آخره.

ولا يليقُ به حضورُ الأفراحِ المختلطةِ ولا العزاءِ البِدعي، ولا مجالسِ الزورِ، ولا يجالِسُ أهلَ البدعِ.

---

(١) أخرجه مسلم (٤٣٢).

٧- التزيُّنُ بآدابِ النفسِ:

من محاسنِ الأخلاقِ كالعفافِ، والحلمِ، والصبرِ، والتواضعِ للحقِّ، والوقارِ، والرزانةِ وخفضِ الجناحِ... إلى آخره[(١)].

فعلى قدْرِ حسنِ خُلُقِه، يكونُ قدوةً لنفسِه والناسِ، على قدرِ اقتداءِ الناس به وحرصِهم عليه، وتوقيرِهم له.

٨- أن يكونَ نافعًا للخلق:

فعلى قدرِ نفعِه للناس على قدرِ نجاحِه في دعوتِه وهدايتِه لهم، فهذا غلامُ قصةِ أصحابِ الأخدود أكرمه اللهُ بإجابة دعائه في شفاء المرضى، ونحوِ ذلك، ببركةِ إخلاصِه وصلاحِه، فانتفعَ الناسُ به فاهتدوا بدينِه.

وهذا نبيُّ اللهِ عيسى بنُ مريمَ عليه السلام نفعَ اللهُ به، ونشَرَ دينَه.

---

(١) انظر: مدخل إلى علوم الشريعة، د/ عبد الرحمن العقل ص ٣٦- ٥٠.

الفصل الخامس
محاذير طلب العلم وآفاته

١. العلمُ هو أجلُّ العباداتِ على الإطلاق، فالعلمُ قبل القولِ والعملِ، فلا يحِلُّ قولٌ ولا عملٌ إلا بعلمٍ، وما أمر اللهُ نبيَّه ﷺ بطلبِ الزيادةِ من شيءٍ إلا العلمَ؛ لعظيمِ شرفِه وفضلِه، فقال: {وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾} [طه:١١٤].

ولما كان العلمُ أجلَّ العباداتِ، وكان الشيطانُ ألدَّ الأعداءِ، فإنَّه يحاوِلُ بكلِّ سبيلٍ أن يصُدَّ طالبَ العلمِ عنه، أو أن يُفسِدَ عليه نيَّتَه فيه، فهناك عِدةُ آفاتٍ ومحاذيرَ تُعَدُّ مداخلَ للشيطانِ لإفساد القلوبِ والأعمالِ بشأن هذه العبادةِ الجليلة، نذكُرُ منها ما يأتي:

١- التزهيدُ في العلمِ والصدُّ عنه واليأسُ منه:

قد يدخُلُ الشيطانُ للعبدِ المسلمِ؛ ليصُدَّه عن عبادةِ طلبِ العلمِ، بتزهيدِه فيه وصرفِه عنه، ويقولُ له: لا تتعلَّمْ؛ حتى لا يكونَ العلمُ

حجَّةً عليك، أو يقولُ له: قد كبُرَ سِنُّك فلا حاجةَ لك بذلك، ونحو ذلك أو يجِدُ الطالبُ بعضَ الصعوباتِ في أولِ طريقِ الطلبِ، أو عدمِ التماشي مع أقرانِه في الطلبِ لضعفِ حفظِه أو فهمِه، ونحوِ ذلك، فييأسُ ويزهَدُ ويترُكُ الطلبَ، ويحتقِرُ نفسَه، وكلُّ هذا من عملِ الشيطانِ للصدِّ عن سبيل الله.

٢. إفسادُ النيةِ في الطلبِ بتعلُّمِ العلمِ لغيرِ الله:

فالإخلاصُ شرطُ قبولِ العملِ الصالحِ، قال الله تعالى: {وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ} [البينة:٥].

وقد ذمَّ اللهُ تعالى مَن عمِلَ عملًا لغيرِ وجهِه الكريمِ، وعدَّ ذلك من الشركِ به سبحانه، فقال تعالى: {مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٦} [هود:١٥-١٦].

وقال عز وجل: {مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾} [الإسراء:١٨-١٩].

وطالِبُ العلم إذا لم يخلِصْ لله وحده، ويُرِدْ وجهَ اللهِ بعلمه فهو حطبُ جهنمَ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ»(١).

وعن كعبِ بن مالكٍ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ: «مَنْ طَلَبَ العِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ العُلَمَاءَ، أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ؛ أَدْخَلَهُ اللهُ النَّارَ»(٢).

(١) أخرجه أحمد (٨٤٥٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٥٤)، وحسنه الألباني.

وعن جابر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لَا تَعَلَّمُوا العِلْمَ لِتُبَاهُوا بِهِ العُلَمَاءَ، وَلَا لِتُمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ، وَلَا تَخَيَّرُوا بِهِ المَجَالِسَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَالنَّارُ النَّارُ»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ: «أَوَّلُ النَّاسِ يُقْضَى عَلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ... وذكر منها: «وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ القُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ العِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ القُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ العِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ القُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ»(٢).

وعن عمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ،

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٥٤).

(٢) أخرجه مسلم (١٩٠٥).

فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»(١).

٢- كتمانُ العلم:

إن ثمرةَ تعلُّمِ العلمِ وبركتَه العملُ به وتعليمُه للآخرين، قال النبيُّ ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ »(٢).

وقال ﷺ قال: «مَنْ عَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ؛ كَانَ لَهُ أَجْرُهَا مَا تُلِيَتْ»(٣).

وقال ﷺ: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاثَةٍ: إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).
(٢) أخرجه البخاري (٥٠٢٧).
(٣) أخرجه أبو سهل القطان في حديثه عن شيوخه (٤ / ٢٤٣ / ٢).
(٤) أخرجه مسلم(١٦٣١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وليس هناك صدقةٌ جاريةٌ يجري نفعُها وخيرُها وبركتُها أفضلَ من العلمِ، وليس هناك ولدٌ صالح يدعو للمعلِّمِ أفضلَ ممن تعلَّمَ على يدِ المعلِّمِ.

ومن أعظمِ آفاتِ طلبِ العلمِ، كتمانُه وعدَمُ تبليغِه للناسِ، فقد أخذ اللهُ الميثاقَ على العلماءِ، والدعاةِ، وطلابِ العلمِ أن يُبيِّنوا للناسِ هذا العلمَ ولا يكتموه، فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [آل عمران:١٨٧]

فذمَّ اللهُ الذين كتموا العلمَ وتوعدَّهم بالعذابِ الأليم، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة:١٥٩-١٦٠].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ عَلِمَهُ ثُمَّ كَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «مَثَلُ الَّذِي يَتَعَلَّمُ العِلْمَ، ثُمَّ لَا يُحَدِّثُ بِهِ، كَمَثَلِ الَّذِي يَكْنِزُ الكَنْزَ، فَلَا يُنْفِقُ مِنْهُ»(٢).

٣- القولُ على اللهِ بغير علمٍ، والجرأةُ في الفتوى:

القولُ على اللهِ ورسولِه ﷺ بغير علمٍ هو أصلُ الكفرِ، والشركِ، والبدعةِ، وهو أعظمُ المحرماتِ؛ بل أعظَمُ من الشركِ، قال الله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾} [الأعراف:٣٣].

وقال سبحانه: {وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤٩).
(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦٨٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴿١١٦﴾} [النحل:١١٦].

وقال النبيُّ ﷺ: «مَنْ تَقَوَّلَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»(١).

وقال: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»(٢).

ويظهَرُ هذا الكذبُ من طالبِ العلمِ المبتدئ الذي يتصدَّرُ قبل أن يتأهَّلَ، ويفتي في الدينِ بغيرِ علمٍ، ويكونُ جريئًا على الفتوى، متكبِّرًا أن يقولَ لا أعلَمُ، أو لا أدري، أو يكونُ محبًّا للظهورِ، متعالمًا فاسدَ النيةِ.

وما ضلَّ مَنْ ضلَّ إلا بشؤمِ كذبهِ على اللهِ ورسوله ﷺ، إما بقولٍ باطلٍ، أو بفَهمٍ كاذبٍ.

وإن من أشراطِ الساعةِ أن يتصدَّرَ الجهالُ للفتوى، والقولِ على اللهِ بغيرِ علمٍ، فيَضِلوا ويُضِلوا؛ لما ورد فى حديثِ عبدِ الله بنِ عمرٍو

---

(١) أخرجه أحمد (٨٢٦٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦١٩٧)، ومسلم (٣).

بنِ العاص رضي الله عنهما قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ: «إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرُكْ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالاً، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»(١).

وقال الشيخُ بكرٌ أبو زيد: احذرِ التصدرَ قبلَ التأهُّلِ، فهو آفةٌ في العلمِ والعملِ، وقد قيل: من تصدَّر قبلَ أوانِه، فقد تصدَّى لهوانِه.

ولا يتعجَّلُ بالتصدرِ والفتوى إلا قليلُ الفقهِ، المعجَبُ بنفسِه، الجريءُ على اللهِ وشرعِه بالكذب على اللهِ ورسولِه.

قال عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه: تفقَّهوا قبل أن تُسوَّدُوا؛ أي: اطلبوا العلمَ والفقهَ قبل أن تتصدروا، أو تُصدروا، فإذا تصدرتم ظننتم أنكم علماءُ، فحجبَكم ذلك عن الجلوسِ تحت أقدامِ العلماءِ، والخروجِ في طلب العلم.

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

٥- ادِّعاءُ علمٍ لا تحسِنُه، والتفاخُرُ بعلمٍ تحسِنُه:

العبدُ المخلِصُ في طلبِ العلم لا يعنيه إلا رضا اللهِ، ولا يريدُ من الخلقِ جزاءً ولا شكورًا، أما العبدُ المدخولُ في نيتِه، فتراه يدَّعي عِلمًا لا يحسنُه، ويتعالمُ ويتفاخَرُ بالعلمِ الذي أتقنَه وأحسَنَه، فلا يجوزُ للمسلمِ أن يدَّعيَ علمًا لا يحسِنُه؛ لقولِ النبيِّ ﷺ: «الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ، كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ»(١).

ولقولِه ﷺ: «يَظْهَرُ الإِسْلَامُ حَتَّى يَخْتَلِفَ التُّجَّارُ فِي البَحْرِ، وحَتَّى تَخُوضَ الخَيْلُ فِي سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ يَظْهَرُ قَوْمٌ يَقْرَءُونَ القُرْآنَ، يَقُولُونَ: مَنْ أَقْرَأُ مِنَّا؟ مَنْ أَفْقَهُ مِنَّا؟ مَنْ أَعْلَمُ مِنَّا؟ ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «هَلْ فِي أُولَئِكَ مِنْ خَيْرٍ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «أُولَئِكَ مِنْكُمْ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، فَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودِ النَّارِ»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢١٩)، ومسلم (٢١٢٩).
(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦٢٤٢)، وحسنه الألباني في الترغيب (١/ ٥٨).

فلا يجوزُ للعالِمِ أن يقولَ أنا أعلَمُ الناسِ حتى ولو كان نبيًّا مرسلًا، فقد عتب اللهُ على نبيِّه وكليمِه موسى ﷺ الذي اصطفاه برسالاته وبكلامه على أهل زمانه، حينما سُئِلَ موسى: هل تعلمُ أحدًا أعلَمَ منك؟ فقال: «لا» وفي روايةٍ: «**أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ، قَالَ: فَعَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ العِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ البَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، قَالَ مُوسَى: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ لِي بِهِ؟**»(١). فمع أن موسى ﷺ قال الله له: ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ [الأعراف:١٤٤]، ومع ذلك عتب عليه لما قال عن نفسه: إنه أعلمُ الناس.

ولا يجوزُ للعالِمِ وطالِبِ العلم أن يثنِيَ على نفسِه؛ إلا إذا اضطر إلى ذلك وجُهِلَ أمرُه؛ كما قال يوسفُ ﷺ: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ

(١) أخرجه البخاري (٤٧٢٥)، ومسلم (٦٢٣٩).

ﭐلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾} [يوسف:٥٥].

قال تعالى: {فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾}

[النجم:٣٢].

٦- إهانةُ العلمِ وإذلالُه:

فلا يجوزُ للعالم وطالبِ العلم أن يُذِلَّ نفسَه للأمراءِ، والأغنياءِ، وأصحابِ الجاه، بطلبِ ما عندهم، فيذِلُّ العلمَ الذي يحمِلُه ويهينُه، فعلى قدر ما تأخُذُ من دنيا الناسِ، على قدرِ ما يُؤخَذُ من دِينِك.

ومن قواعدِ أهل العلم في ذلك: «العلمُ يُؤتَى إليه، ولا يأتي إلى أحدٍ».

قال الإمامُ مالكٌ للرشيدِ لمَّا أراد منه أن يأتيَ لقصرِه؛ ليعلِّمَ أولادَه، ويقرَأَ عليهم الموطأَ: أدركتُ أهلَ العلمِ يُؤْتَون ولا يَأْتون، ومنكم خرج العلمُ، وأنتم أولى الناسِ بإعظامِه، ومن إعظامِكم له ألَّا تدعوا حمَلَتَه إلى أبوابِكم.

وإذا وجد العالمُ وطالبُ العلمِ أن علمَه يُهانُ في بلدِه، فليخرُجْ منها إلى غيرِها؛ إعزازًا للعلم، قال الشافعيُّ رحمِه الله:

ارْحَلْ بِنَفْسِكَ مِنْ أَرْضٍ تُضَامُ بِهَا * وَلَا تَكُنْ مِنْ فِرَاقِ الأَهْلِ فِي حُرَقِ

فَالعَنْبَرُ الخامُ رَوْثٌ فِي مَوَاطِنِهِ * وَفِي التَّغَرُّبِ مَحْمُولٌ عَلَى العُنُقِ

وَالكُحْلُ نَوْعٌ مِنَ الأَحْجَارِ تَنْظُرُهُ * فِي أَرضِهِ وَهْوَ مَرْمِيٌّ عَلَى الطُّرُقِ

لَمَّا تَغَرَّبَ حَازَ الفَضْلَ أَجْمَعَهُ * فَصَارَ يُحْمَلُ بَيْنَ الجَفْنِ وَالحَدَقِ

وهذا عطاءُ بنُ أبي رباحٍ كان عبدًا أسودَ لامرأةٍ من أهلِ مكة، فحفِظَ وتعلَّم وتفقَّه وصار من علماء المسلمين، وصار مفتيَ الحرمِ، فجاءه أميرُ المؤمنين سليمانُ بنُ عبد الملَك وابناه، فجلسوا إليه وهو يصلي، فلما صلى انفتَلَ إليهم، فما زالوا يسألونه عن مناسِكِ الحجِّ، وقد حوَّل قفاه إليهم، ثم قال سليمانُ لابْنَيهِ: قوما فقاما، وقال: يا بَنِيَّ لا تَنِيا في طلبِ العلمِ، فإني لا أنسى ذلَّنا بين يدَيْ هذا العبدِ الأسودِ(١).

(١) انظر: الفقيه والمتفقه (١/ ١٤٠).

٧- قسوةُ القلبِ وفقدانُ الخشيةِ:

فثمرةُ العلمِ أنه يورثُ خشيةَ الله تعالى في قلبِ المؤمن،كما قال تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾} [الإسراء:١٠٧-١٠٩].

وقال سبحانه: {أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٩﴾} [الزمر:٩].

وقال سبحانه:{إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ ۗ} [فاطر:٢٨]؛

أي: أشدُّ الناس خشيةً للهِ هم العلماءُ؛ لأنهم أعلمُ الناسِ بالله عز وجل.

ولذلك قال النبيُّ ﷺ: «أَمَا وَاللهِ، إِنِّي لَأَتْقَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَخْشَاكُمْ لَهُ»[(١)].

(١) أخرجه مسلم(١١٠٨).

وفي رواية: «فَأَنَا وَاللهِ أَعْلَمُكُمْ بِاللهِ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ»[(١)].

فعلى قدرِ العلمِ، على قدرِ التقوى والخشيةِ.

وكان من دعائه: «اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ»[(٢)].

وقد ذمَّ اللهُ من لا يخشَعُ قلبُه لسماعِ القرآنِ والعلمِ فقال: {۞أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ} [الحديد:١٦].

وقال: {فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾} [الزمر:٢٢-٢٣]

قال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: ليس العلمُ عن كثرةِ الحديثِ؛ وإنما العلمُ

---

(١) أخرجه الحاكم (١٧٩٤).

(٢) أخرجه مسلم(٢٧٢٢).

الخشيةُ[١].

وقال مالكٌ: إن العلمَ ليس بكثرةِ الروايةِ، وإنما العلمُ نورٌ يجعلُه اللهُ في القلب[٢].

٨- الكِبرُ والعُجب والغرورُ بالعِلم:

قال الله تعالى لعالِم الأمة وقدوتِها ومعلِّمها الأولِ عليه الصلاة والسلام: {وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾} [الشعراء:٢١٥]

وأمره أن يقولَ: «وَإِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»[٣].

ويقولُ ﷺ: «مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللهُ»[٤].

وقد قال سبحانه: {أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوًى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾} [الزمر:٦٠]

---

(١) انظر: جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (١/ ٧٥٨).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٥٥٤).
(٣) أخرجه مسلم (٢٨٦٥).
(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (٤٨٩٤).

وأمَرَ نبيَّه ﷺ أن يقولَ: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**»(١).

ومن أعظمِ مداخلِ الشيطانِ لإفسادِ العلماءِ وطلابِ العلمِ إدخالُ الكِبرِ في نفوسِهم.

والعلماءُ وطلابُ العلمِ في هذا الكبرِ على ثلاثِ درجاتٍ:

الأولى: أن يكونَ الكِبْرُ مستقِرًّا في قلبِ الإنسانِ منهم؛ ولكنه جاهَدَ نفسَه وتواضَع للهِ تعالى، وقطَعَ أصلَ شجرةِ الكِبْرِ مِن قلبِه، ببركةِ العلمِ، وتوفيقِ الله له.

الثانية: أن يظهَرَ الكبْرُ في أفعالِه من الترفُّعِ في المجالسِ، والتقدُّمِ على الأقرانِ، والإنكارِ على من يقصِّرُ في حقِّه، فتراه يصعِّرُ خدَّه للناسِ كأنه معرِضٌ عنهم.

---

(١) سبق تخريجه.

الثالثة: أن يظهَرَ الكِبرُ بلسانِه، كالدعاوى والمفاخرةِ، وتزكيةِ النفس، وحكاياتِ الأحوالِ في معرِضِ المفاخرةِ لغيرِه، والتكبُّرِ بالنسبِ ليحتقِرَ غيرَه(١).

وسبحان الله، العلمُ كالغيثِ النازلِ من السماءِ، ينزِلُ على الثمَرِ الحلوِ، فيزيدُه حلاوةً، وينزِلُ على الثمَرِ المُرِّ، فيزيدُه مرارةً، وهكذا العلمُ مع القلوبِ السليمةِ يزيدُها تواضعًا وخشيةً، وينزِلُ على القلوبِ الخبيثةِ فيزيدُها كبرًا ومكرًا.

*قال الشيخُ بكرٌ أبو زيد رحمه الله: احذَرْ أن تكونَ أبا شبرٍ، فقد قيل: العلمُ ثلاثةُ أشبارٍ، من دخل في الشِّبْرِ الأولِ تكبَّرَ، ومن دخل في الشِّبْرِ الثاني تواضَعَ، ومن دخل في الشِّبْرِ الثالثِ علِمَ أنه ما يعلَمُ(٢).

(١) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة ص٢٣٣.
(٢) حلية طالب العلم د/ بكر أبو زيد ص١١٢، شرح ابن عثيمين، تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة الكناني ص٦٥.

أي: أنه مهما أُوتِيَ من العلم، فهو ما حصّلَ شيئًا يحمِلُه على الكِبْرِ، وادِّعاءِ العلمِ؛ لأن اللهَ يقولُ: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء:٨٥].

فالأولُ يرى نفسَه عالمًا متكبِّرًا، والثاني يرى نفسَه عالِمًا متواضِعًا، والثالثُ يرى نفسَه عبدًا ضعيفًا مسكينًا، ولولا فضلُ اللهِ عليه ورحمتُه لكان نَسيًا منسيًّا، لا تغرُّه دنيا، ولا تفرِحُه شهرةٌ، ولا يبهِرُه ثناءُ الناسِ عليه، ويشتَدُّ خوفُه مِن اللهِ، ويرى أنه مقصِّرٌ في حقِّ اللهِ، وفي حقِّ الأُمةِ.

٩- التسرع في الفتوى:

قد تكونُ الفتوى وحبُّ السؤال شهوةً عند بعض المتعلِّمين، ولا يتجرَّأُ ويتسارعُ إلى الفتوى إلا قليلُ العلمِ، قليلُ الورَعِ.

الفتوى بالباطِل كذبٌ على اللهِ ورسولِه ﷺ؛ ولذلك كان العلماء الربانيُّون أشدَّ الناسِ خشيةً من اللهِ تعالى، وأشدَّ الناسِ خشيةً من

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التسرعِ في الفتوى، وكانوا يتقرَّبون إلى اللهِ تعالى بقولهم: «لا أعلم»، «لا أدري»، ونحوِ ذلك.

وسيِّدُهم وخيرُهم رسولُ اللهِ محمدٌ ﷺ، سُئِل:متى الساعةُ؟ قال:«مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»(١).

ويُسألُ ﷺ عن أشياء فلا يجيبُ عنها، حتى ينزِلَ الوحيُ، ومِن بعده أصحابُه الكرامُ، فهذا أبو ذرٍّ رضي الله عنه، يسألُه النبيُّ ﷺ عند غروبِ الشمسِ: «أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمسُ» قال: اللهُ ورسولُه أعلَمُ(٢).

وعن عليِّ بنِ أبي طالب رضي الله عنه قال: يا بردَها على الكبدِ، إذا سُئل الرجلُ عما لا يعلَمُ أن يقولَ: لا أعلَمُ.

وعن مرْوانَ الأصفرِ قال: كنتُ عندَ ابنِ عمَرَ، فسُئِلَ عن شيءٍ؟ فقال: لا أدري.

(١) أخرجه مسلم (٨).

(٢) أخرجه مسلم (١٥٩).

فلما ذهب الرجلُ أقبَلَ على نفسَه وقال: سُئل ابنُ عمر عمَّا لا يعلَمُ فقال: لا أدري، ونِعمَ ما قال ابنُ عمر لِما لا يدري: لا أدري.

وسُئل الشعبيُّ عن شيءٍ فقال:لا أدري.

فقيل له: أما تستحيي من قولِكَ: لا أدري، وأنت فقيهُ أهلِ العراق؟! قال: لكنَّ الملائكةَ لم تستحِ حين قالت: {سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ} [البقرة:٣٢].

قال الخطيبُ البغدادي: إذا سُئِلَ المفتي عن حكمٍ نازلَةٍ فأُشكِلَ عليه، وهناك من هو عارف به لزِمَه أن يُرشِدَ السائلَ إليه، ويدلَّه عليه(١).

ومن أعجَبِ ما قرأتُ في كتابِ فتاوى الشيخِ ابنِ عُثيمين، فتاوى مطبوعة ومكتوبة في الكتاب، يُسأل الشيخُ عنها فيكون الجواب: لا أدري، لا أعلَمُ.

(١) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ص٣١-٣٢.

وكانت هذه أعظمَ فائدةٍ استفدتُّها من هذا الكتابِ، من الشيخِ الفقيهِ العلّامة ابن عثيمين رحمِه الله.

١٠- التحاسدُ بين طلابِ العلم وأهلِه:

هناك فرقٌ بين التنافسِ في العملِ الصالحِ الذي قال الله عنه: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦﴾ [المطففين:٢٦]، والذي هو المسارعةُ في الخيراتِ مع حبِّ المسلمِ لأخيه ما يحبه لنفسِه من الخير، وتمنِّي دوامِه في الخيرِ والنعيم، وبين الحسدِ المذمومِ الذي هو كراهيةُ المحسودِ، وكراهيةُ النعمةِ له، وتمنِّي زوالِ النعمةِ عنه، فهذا أشرُّ وأخطَرُ من السرطانِ، فالسرطان يكفِّرُ السيئاتِ، ويرفَعُ الدرجاتِ، ويُرجى برؤه، وأما الحسَدُ فإنه يأكُلُ الحسناتِ كما تأكُلُ النارُ الحطبَ، ولا يُرجي برؤه،إلا أن يشاءَ اللهُ.

وإذا جرى الحسَدُ بين أهلِ العلمِ وطلّابِه، وبين الصالحين من هذه الأمة، فقد هدموا دينَهم بأيديهم، ونقضوا بنيانَهم، وكفروا نعمةَ

ربِّهم، وتشبَّهوا بإبليسَ وأعوانِه من اليهودِ والنصارى والمنافقين؛ لأن الحسَدَ صفتُهم وأصلٌ فيهم.

١١- التعالُمُ:

بعضُ الطلبةِ يحِبُّ الظهورَ، ولفتَ أنظارِ الناسِ إليه، فيبحَثُ مسألةً ويراجِعُها جيِّدًا، ثم يأتي في مجلس الدرسِ، ويسألُ فيها الشيخَ ويناقشُه، ويناظِرُه ليُظهِرَ قوَّتَه في العلم، وقد يكونُ الشيخُ غيرَ حاضِرِ الذهنِ لهذه المسألة، فيظهر الطالبُ أمامَ العوامِّ أنه أفحَمَ الشيخَ في المسألة، وأنه أعلمُ من الشيخ، ومثلُ هذا ينبغي أن يُحرِجَه الشيخُ ويسكتَه، فيسألَه في فقهِ الفرائضِ مثلًا، أو الطلاقِ، أو البيوعِ، أو الجهادِ والغنائمِ، ونحوِ ذلك، فتظهَرَ سوءتُه، ويعرِفَ الناسُ حقيقتَه، وأنه متعالِمٌ جهولٌ[١].

(١) حلية طالب العلم بشرح ابن عثيمين (١٨٤-١٨٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهذا مرضٌ نفسيٌّ يعتري محبِّي الشهرةِ والثناءِ والظهورِ، وأمثالُ هؤلاءِ إن لم يتوبوا يُخشَى عليهم أن يصدُقَ فيهم قاعدةُ: مَن تعجَّلَ شيئًا قبل أوانِه، عوقِبَ بحرمانِه(١).

١٢-شهوةُ التسرعِ في تصنيفِ الكتبِ قبل استكمالِ أدواتِه:

وهذا داءٌ عند بعضِ من يطلُبُ العلمَ للشهرةِ، يريدُ أن يكونَ له كتابٌ أو أكثرُ مكتوبٌ عليه اسمُه، وهذا دليلٌ على فسادِ النيةِ.

فلا يكتبُ إلا من استكمَلَ أدواتِ الطلَبِ والكتابةِ، والبحثِ العلميِّ، ولا يكتبُ إلا ابتغاءَ مرضاةِ اللهِ، لإعلاءِ كلمةِ اللهِ، وتبليغِ دعوةِ اللهِ إلى خلقِه.

وقد كان أكابرُ العلماءِ يتمنون أنه لا تُكتَبُ أسماؤُهم على كتبِهم، ولا يُنسَبُ اليهم شيئًا منها، قال الشافعيُّ رحمه الله: ودِدتُّ أنه لم ينسَبْ إليَّ شيءٌ من هذا العلمِ(٢).

---

(١) قواعد الفقه لابن رجب الحنبلي ص٢٦٢.

(٢) حلية طالب العلم ص ١٨٥ وما بعده بشرح ابن عثيمين.

قال الخطيبُ البغداديُّ: مَن صنَّف فقد جعَلَ عقلَه على طبقٍ يعرِضُه على الناسِ(١).

١٣- الانتقاصُ من قدرِ العلماء لِوَهَمٍ صدرَ عنهم:

العلماءُ بشرٌ، وقد يجتهِدُ العالِمُ في مسألةٍ ولا يصيبُ فيها وجهَ الصوابِ؛لأن العلماءَ ليسوا بمعصومين، وما من عالمٍ من علماءِ الحقِّ إلا وله بعضُ الاجتهاداتِ المرجوحةِ، حتى لا يعتقِدُ أحدٌ في عصمتِه، وهذا لا يقدَحُ في عدالتِه ولا وفور علمِه؛ بل إن أوهامَهم في بحرِ علومهم وحسناتِهم لا تساوي شيئًا، فمن اجتهد منهم فأصاب فله أجران، ومن اجتهد منهم فأخطأ فله أجر، فهم مأجورون في كلِّ أحوالِهم.

فأهلُ السُّنةِ ليسوا معصومين، ولكن منهجُهم منهجٌ معصومٌ، فإذا اجتهد أحدُهم في مسألةٍ وخالف فيها وجهَ الحقِّ بعد اجتهادِه فيها، فيقومُ الآخرون من أهل السنةِ بالردِّ عليه، وتصويبِ الخطأ،

(١) الحلية (١٨٦)، وسير أعلام النبلاء ص١٨/ ٢١٨.

بلا مجاملةٍ، ولا سوءِ أدبٍ، ولأن غرضَ أهلِ السنةِ هو إظهارُ الحقِّ، ونشرُه في الناس.

ويستحيل على العالِم من أهلِ الحقِّ أن يتعمَّد مخالفةَ الحقِّ.

ولكن للأسف بعضُ من يطلُبُ العلمَ إن وجد وهمًا لبعضِ العلماء طار به كالمشهِّرِ له بزعمِ الردِّ عليه، ليظْهِرَ نفسَه بأنه من العلماءِ.

فالواجبُ الاعتذارُ عن أهل العلمِ، كما فعل شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ حينما كتب كتابه: «رفعُ الملام عن الأئمةِ الأعلام».

وبيَّن فيه أسبابَ اختلافِ العلماءِ الربانين في بعضِ المسائل، فينبغي على كل طالبِ علمٍ أن يقرأ هذا الكتابَ، مع دراسةِ الأدبِ مع العلماء.

فالتشنيعُ على العلماء الربانين يدُلُّ على الجهلِ والهوى وسوءِ الأدبِ.

والواجبُ على العلماءِ وطلبةِ العلمِ والدعاةِ إن وجدوا وهَمًا لأحدِ العلماءِ في مسألةٍ من المسائلِ أن يردُّوا هذا الوهَمَ للكتابِ والسنةِ وفهمِ السلف الصالحِ، ويبيِّنوا وجهَ الحقِّ فيه، ويلتمِسوا العذرَ لذلك العالِم الربانيِّ، فكفى بالمرءِ نبلًا أن تعدَّ معائبُه.

ولا يحمِلُ الإنسانَ على القدحِ في العلماءِ، وتتبُّعِ أوهامِهِم، والتربصِ بهم والتشهيرِ بأوهامهِم إلا الجهلُ، واتباعُ الهوى كأهلِ البدعِ والأهواءِ في طعنِهم في أهلِ السُّنّةِ، أو الحسدُ الذي يحمِلُ الحاسِدَ على ظلمِ المحسودِ والانتقاصِ منه(١).

١٤- اللَّحنُ في اللغةِ العربيةِ:

اللغةُ العربيةُ هي لغةُ القرآن والسنة، لغةُ الإسلام، بدونها لا نستطيعُ أن نفهَمَ مرادَ اللهِ ورسولِه، فتعلُّمُها واجبٌ على طلبةِ العلمِ الشرعيِّ، وما لا يتِمُّ الواجبُ إلا به فهو واجبٌ.

(١) انظر: حلية طالب العلم بشرح ابن عثيمين ص١٨٧-١٨٩.

www.alukah.net

واللغةُ العربيةُ الفصحى هي أعظمُ رباطٍ يربِطُ المسلمين بعضَهم ببعضٍ.

وثقافةُ كلِّ أمةٍ مرتبطةٌ بلغتِها، لما أراد الاستعمارُ الأجنبيُّ اليهوديُّ الصليبيُّ أن يحتَلَّ بلادَ المسلمين، كان هدفُه الأسمى طمسَ اللغةِ العربيةِ، لغةِ القرآنِ والسنةِ، فقد وضعوا الفجوةَ الكبيرةَ بين المسلمين وبين دينِهم، ليصيروا أُمِّيين بكتابِ ربِّهم وسنةِ نبيِّهم، فلا يعرفون عن الإسلامِ إلا اسمَه، ولا عن المصحفِ إلا رسمَه.

ولذلك اعتنى الاستعمارُ بإنشاءِ المدارسِ الأجنبيةِ، ومدارسِ اللغاتِ الأجنبيةِ، ونشرِ اللهجاتِ العاميةِ، حتى أنه تم عملُ رسائلَ للدكتوراة والماجستير باللهجاتِ العاميةِ، وكلُّ ذلك من أجلِ طمسِ هُويّةِ اللغةِ العربيةِ الفصحى التي لا نستطيعُ معرفةَ الإسلامِ، ولا فهمَ القرآنِ والسنةِ إلا من خلالِها.

فيجِبُ على طالبِ العلمِ الشرعيِّ أن يجتهِدَ في تعلُّمِ وتعليمِ النحوِ، والصرفِ، والبلاغة، ونحوِ ذلك من علومِ اللغةِ التي يحتاجُها لفهمِ كتاب الله، وسنة رسولِه صلي الله عليه وسلم.

ولذلك كان من أعظم آفاتِ طلبِ العلم التي تفسِدُ العلمَ على طالبيه اللَّحنُ في اللغةِ كتابةً أو لفظًا.

بل كان السلفُ يعدُّون جودةَ اللغةِ وتعلُّمَها من المروءةِ؛ بل كانوا يضرِبون أولادَهم على اللحنِ في اللغة العربيةِ، حتى قال عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه: تعلَّموا العربيةَ؛ فإنَّها تزيدُ في المروءةِ[١].

---

(١) الجامع للخطيب البغدادي (٢/ ٢٨-٢٩)، حلية طالب العلم (ص١٩١-١٩٣).

وحينما لا يفرِّقُ طالبُ العلمِ بين الفاعلِ والمفعولِ، والمبتدأ والخبرِ، والصفةِ، والحالِ، والمضافِ، والتوكيدِ، والظرف... فلا يصلُحُ أن يكونَ من طُلَّابِ العلمِ المبلِّغين عن اللهِ تعالى.

١٥- التحزُّبُ لجماعةٍ أو حزبٍ أو طريقةٍ ونحوِ ذلك:

فالإسلامُ دينٌ واحدٌ، واللهُ المعبودُ ربٌّ واحدٌ، والقرآنُ كتابٌ واحدٌ، والسنةُ واحدةٌ، والنبيُّ محمدٌ ﷺ واحدٌ، ومنهجُ الأنبياءِ منهجٌ واحدٌ، واللهُ تعالى جعل الأمةَ أمةً واحدةً، وأمر بالاعتصامِ بالكتابِ والسنةِ بفهمِ النبيِّ ﷺ، وأصحابه الكرام، ونهى عن التفرُّقِ والتحزبِ والاختلافِ؛ لأن ذلك يهدِمُ الدينَ، ويُضعِفُ الأمةَ، ويورِثُ فيها العداءَ فقال سبحانه: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران:١٠٣]، وقال: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٣٢﴾ [الروم:٣١-٣٢]، وقال: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ [الأنفال:٤٦]؛ أي: لا تختلفوا، فتفشَلوا وتذهبَ قوَّتُكم.

وأمرَ النبيُّ ﷺ المسلمين عند ظهورِ الاختلاف والبدعِ بالتمسك بالسُّنةِ، على فهمِ الصحابةِ الكرامِ، وعلى رأسِهم الخلفاءُ الراشدون، واعتزالِ الفرَقِ كلِّها، فقال: «**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِش مِنْكُمْ يَرَى بَعْدِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ**»[(١)].

وفي حديث حذيفةَ بنِ اليمان رضي الله عنه، قال له النبيُّ ﷺ: «**فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ**»[(٢)].

والحقُّ واحدٌ لا يتعدَّدُ، وأهلُ الحقِّ هم طائفةٌ واحدةٌ، وهي التي استقامت على الكتابِ والسنةِ بفهم أصحابِ النبيِّ ﷺ، قال النبيُّ

(١) أخرجه أحمد (١٧١٤٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»[(١)].

وقال ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ مَنْصُورَةً»[(٢)]. وهم الجماعةُ التي على مثلِ ما كان عليه النبيُّ ﷺ وأصحابُه في زمانِ النبوةِ من العلمِ والعملِ والاعتقادِ، قال النبيُّ ﷺ: «افْتَرَقَتِ اليَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الجَنَّةِ، وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاحِدَةٌ فِي الجَنَّةِ، وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «الجَمَاعَةُ»[(٣)].

وفي روايةٍ قال: «مَا أَنَا عَلَيْهِ اليَوْمَ وَأَصْحَابِي»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣١١)، ومسلم (١٩٢٠).
(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٦٦٧٩).
(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٢).
(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤٤٤).

فطالبُ العلمِ الواعي الملتزِمُ لمنهجِ السلف الصالحِ لا يعرِفُ التحزُّبَ، ولا التفرقَ، ولا الانضمامَ لجماعةٍ من الجماعاتِ، ولا مسمًّى من هذه المسمياتِ، وإنما هو مسلمٌ على نهجِ الكتابِ والسنةِ بفهمِ الصحابةِ الكرامِ، كما قال اللهُ سبحانه: ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج:٧٨].

١٦- **التسويفُ:**

من أعظمِ آفاتِ طالبِ العلمِ أنه كلما أراد قراءةَ كتابٍ، أو حفظَ قرآنٍ، أو حديثٍ، أو حضورَ درسٍ، أو كتابةَ بحثٍ في مسألةٍ، يقولُ: سوف أفعَلُ كذا، ويؤجِّلُ ولا يبادِرُ، فيمرُّ عليه الوقتُ وتتكالبُ عليه المشاغِلُ حتى ينسى وينشغِلَ، فإن سلَّم نفسَه لهذا التسويفِ فقد ضاع، وضاع ماحصله من العلمِ، ونسي الطريقَ.

أما إذا كان حازمًا ذا همةٍ عاليةٍ فسوف يتغلَّبُ على ذلك، ويتغلَّبُ على شيطانِه؛ لأن التسويفَ من أوسعِ مداخِلِ الشيطانِ؛ لتضييعِ الإنسانِ، وإبعادِه عن عملِ الصالحات.

❊ ❊ ❊

هذا ما يسَّر اللهُ ذكره باختصارٍ في هذا الموضوع، وأسأل اللهَ العليَّ القديرَ أن يرزُقَنا العلمَ النافعَ والعملَ الصالح، وأن يجعَلَنا من عبادِه الصالِحين، المُخلِصين، المَقبولِين، الناصِحِين لعبادِه، المُصلِحِين، الذين تعلَّموا العلمَ وعمِلوا به، وعلَّموه، وجرى عليهم ثوابُ عملِهم في حياتِهم وبعدَ مماتِهم.

وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ، وعلى آلِه وصحبِه أجمعين، وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

سبحانَكَ اللهمَّ وبحمدِكَ، أشهدُ أنْ لا إلهَ إلا أنتَ، أستغفرُكَ وأتوبُ إليك!

www.alukah.net

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
مقدمة	٣
الفصل الأول: آدابُ طالبِ العلمِ في نفسِه	
أولًا: إخلاصُ النية لله في طلب العلم	١٢
ثانيًا: التقوى	١٦
ثالثًا: خشيةُ اللهِ ومراقبتُه بالغَيبِ والشَّهادة	١٨
رابعًا: الصبرُ وعلوُّ الهمةِ	٢٢
خامسًا: الصدقُ	٢٥
سادسًا: الأمانة	٢٧
سابعًا: التواضع	٢٩
ثامنًا: الحياء	٣١
تاسعًا: العِفَّة	٣٩
عاشرًا: الرجولة	٤٦
حادي عشر: المروءة	٥٣
ثاني عشر: الكرمُ والجودُ والسخاءُ والسماحةُ	٦١
ثالث عشر: النُّبْل	٦٥

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رابع عشر: الرفق ٦٦

خامس عشر: توقيرُ الكبيرِ والعطفُ على الصغيرِ ٧٤

سادس عشر: برُّ الوالدينِ ٧٧

سابع عشر: صلةُ الرَّحِم ٧٨

ثامن عشر: حُسْنُ الجوار ٨٠

تاسع عشر: العشرةُ بين الزوجينِ بالمعروف ٨٢

عشرون: الشكر ٨٤

الحادي والعشرون: السمعُ والطاعةُ لولاة الأمورِ في غير معصيةٍ ٩٤

الثاني والعشرون: ألا يكونَ حاسدًا ولا عائنًا ٩٦

الثالث والعشرون: الحِلمُ والأناةُ ١٠١

الفصل الثاني: آدابُ الطالبِ مع شيخِه ومعلِّمِه

(١) إنزالُ المعلِّمِ والشيخِ منزلةَ الوالدِ في الاحترامِ والتوقيرِ ١٠٧

(٢) تلطُّفُ الطالبِ مع شيخِه ومعلِّمِه وإظهارُ الحاجةِ لعلمِه ١٠٩
شبكة الألوكة - قسم الكتب

(٣) طاعةُ الشيخِ والمعلِّمِ في طاعة الله تعالى ١١١
(٤) التواضعُ للمعلِّم والشيخ ١١٢
(٥) إجلالُ الشيخِ المعلِّمِ واحترامُه وتوقيرُه وهيبتُه ١١٤
(٦) محبةُ العلماءِ وجوازُ تقبيلِ رؤوسِهم وأيدِيهم ١١٧
(٧) الصبرُ على صحبةِ الشيخِ وشدَّتِه إن كان به شدةٌ ١٢١
(٨) استئذانُ الشيخِ في أخذِ العلمِ عنه، والدخول عليه، والتلقِّي عن غيرِه ١٢٣
(٩) شكرُ المعلِّمِ بالدعاءِ له والثناءِ عليه وصيانةِ حرمته ١٢٥
(١٠) عدمُ التقدمِ على المعلِّم في الكلام أو السير، وعدمُ رفع الصوت ١٢٦
(١١) حسنُ الإنصاتِ والاستماعِ للشيخ ١٣٠
(١٢) لزومُ الأدبِ في سؤالِ الشيخِ ١٣١
(١٣) التأدبُ في الجلوسِ عند المعلِّمِ وعندَ سماعِ العلم ١٣٣
(١٤) التزام أدبِ الخطابِ مع الشيخ والمُعلِّمِ ١٣٤
(١٥) خدمةُ الطالبِ لشيخِه ومُعلِّمِه ١٣٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(١٦) أدبُ الطالبِ في مجلسِ الدرسِ مع الشيخِ والمُعلِّم ١٤١

(١٧) الدفاعُ عن الشيخِ والمعلم ١٤٥

الفصل الثالث: آدابُ طالبِ العلمِ مع أقرانِه وزملائِه

معرفةُ حقِّ المسلِمِ على أخيه المسلمِ ١٥٣

أن يحِبَّ لأخيه ما يحِبُّه لنفسِه من الخير ١٥٤

التعاون البر والتقوى ١٥٤

الحرصُ على مذاكرتهم ومدارستهم ١٥٤

أن يسألَ عن صاحبِه إذا غاب ١٥٧

أن يعينَ كلُّ واحدٍ صاحبَه على تفهُّمِ العلمِ ١٥٨

أن يحذَرَ كلٌّ منهم الحسَدَ على صاحبِه ١٥٨

التناوُبُ في العلمِ ١٥٩

السؤالُ نيابةً عن أخيه إذا استحيا أخوه من السؤال ١٥٩

ألَّا يتخطَّى رقابَ أصحابِه في مجلِسِ العلمِ ١٥٩

ألَّا يشوِّشَ عليهم في مجلِسِ الدرسِ بذكرٍ ١٦٠

ألَّا يؤذيَهم برائحةٍ كريهةٍ ١٦٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أن يتأدَّبَ مع أصحابِه ورفقائِه	١٦١
المنافسةُ المشروعةُ في طلب العلمِ	١٦١
إذا اختلفوا في فَهمِ مسألةٍ رجعوا إلى عالِمِهم	١٦٣
الإصلاحُ بين المتشاحنينَ أو المتهاجرينَ منهم	١٦٨
المسلمُ أخو المسلمِ لا يظلِمُه ولا يحقره	١٦٩
الفصل الرابع: آدابُ طالبِ العلمِ مع عامةِ الناس	
تعليمُهم وبذلُ النصحِ لهم	١٧٦
أن يحدِّثَ الناسَ بما يعرِفون	١٧٧
الرحمةُ بهم وإظهارُ الشفقةِ عليهم	١٨٤
إلقاءُ السلامِ وردُّه، والبشاشةُ في وجوهِ الناسِ	١٨٦
ألَّا يضعَ نفسَه في موقف يُذَلُّ فيه العلمُ وأهلُه	١٨٧
البعدُ عن مجالسِ اللغوِ واللغطِ	١٨٧
التزينُ بآدابِ النفسِ	١٨٩
أن يكونَ نافعًا للخلق	١٨٩
الفصل الخامس: محاذير طلب العلم وآفاته	
التزهيدُ في العلمِ والصدُّ عنه واليأسُ منه	١٩٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إفسادُ النيةِ في الطلبِ بتعلُّمِ العلمِ لغيرِ الله ١٩١
كتمانُ العلم ١٩٤
القولُ على اللهِ بغير علمٍ، والجرأةُ في الفتوى ١٩٦
ادِّعاءُ علمٍ لا تحسِنُه، والتفاخُرُ بعلمٍ تحسِنُه ١٩٩
إهانةُ العلمِ وإذلالُه ٢٠١
قسوةُ القلبِ وفقدانُ الخشيةِ ٢٠٣
الكِبرُ والعُجب بالعلم والغرورُ ٢٠٥
التسرع في الفتوى ٢٠٨
التحاسدُ بين طلابِ العلم وأهلِه ٢١١
التعالُمُ ٢١٢
شهوةُ التسرعِ في تصنيفِ الكتبِ قبل استكمالِ أدواتِه ٢١٣
الانتقاصُ من قدرِ العلماء لِوَهمٍ صدرَ عنهم ٢١٤
اللَّحنُ في اللغةِ العربيةِ ٢١٦
التحزُّبُ لجماعةٍ أو حزبٍ أو طريقةٍ ونحوِ ذلك ٢١٩
التسويفُ ٢٢٢